معرض فني في دير

بقلم امين الريحاني

☆

تفضلت مجلة « الاديب » الزاهرة ، وهي التي تبحث بكل طريف في معرض صفحاتها الفنية ، فطلبت اليّ مقالاً مما تركه امين من المخطوطات التي أعدّها للنشر فيما بعد. وقد وقع اختياري على الفصل الآتي من كتاب « المغرب الاقصى » لما فيه من العبر ، فيتصور القارىء ما تزرعه هذه الحرب الجوية في اوروبا من الدمار في هذه الايام. وفيها في كل قرية بل في كل زاوية معرض فني ، إن في دير او في مرقص ، وان في قصر او في بيت متواضع. حرب ، أقسى ما فيها اضطراب العقل البشري فتلبس الكون الدمار. (البرت الريحاني)

●



اسير الحرب(*) في الماضي شبيهاً بالرقيق ، تتداوله ايدي الفاتحين ، فينتقل كسلعة من بلاد الى بلاد ، ويسوء او يحسن حاله ، بحسب ما يكون من احوال السيادة الخلقية والمادية .

وكان العرب ، في غالب امرهم هذا ، من الاسياد الكرام ؛ يتاجرون بالرقيق تجارة شريفة ، لا غبن فيها ولا ظلم ، ويشغلون الاسرى بالاعمال العمرانية ، وعلى الاخص بالتي يحسنونها ، الى ان يفديهم اهلهم او اصحابهم او دولهم .

وكان من حظ بعض الاسرى انهم دخلوا في خدمة العرب الخاصة ، دخلوا بيوت المسلمين ، فصاروا من اهلها ، بعد ان تعلموا الدين ، واصبحوا اخواناً للمؤمنين . ولا حرج ان قلنا ان اولئك الاسرى كانوا يرفعون الى منزلة الموالي والعبيد المقربين .

ومنهم في المغرب وفي الاندلس الصقالبة ، وهم اصلاً من قبائل الـ « سلاف » (Slavs) اسرهم الالمان في حروبهم ثم باعوهم الى العرب تماديا باذلالهم ، كما كانوا يظنون ، باعوهم الى الـ « ساراسين » فاحسن الـ « ساراسين » معاملتهم ، كما كانوا يفعلون بغيرهم ممن ملكت ايمانهم وصاروا يسمون كل من يأسرون من الشعوب الاوروبية الاخرى باسمهم اي صقالبة .

وكثر الصقالبة في الديار العربية الاسلامية ، فصار الولد الصقلبي في الحريم ، والحاجب الصقلبي في مشور الخليفة والمولى الصقلبي في خدمة الوجهاء والائمة ، والجندي الصقلبي في الجيش او بالحري في الحرس الملكي . بل كان في بلاط امير المؤمنين بقرطبه ، وخصوصاً في عهد الخليفة عبد الرحمن الناصر ، « جيش » منهم ، وفيهم من كل نواحي بلاد الفرنجة ، حتى ومن البلدان التي على شواطىء البحر الاسود ، وكلهم يدعون صقالبة .

ومنهم من كانوا ، مثل الموالي في العهد العباسي ، ادباء وشعراء ، واصحاب صناعات ، فنعموا في كنف العرب ، ومارسوا المهن التي كانت تلذ لهم ممارستها . كانوا اسرى او ارقاء احراراً .

ولكنهم في انتقالهم الى غير العرب من الاسبان الفاتحين ، او المقتدين ، او الشارين كانوا يعودون اسرى وارقاء ، ويعاملون كذلك . هذا اذا عدل فيهم اسيادهم الجدد .

وكانت حوادث الانتقال ، على انواعه ، تتلو كل حرب من الحروب ، وكل غزوة من الغزوات . وما كان العرب فيها ، غير اصوليين . بل كانوا مثل اعدائهم في السلب والنهب والاسر والتدمير .

وهاك مثلهم الاعلى حاجب الخليفة هشام ، ابن عامر محمداً الملقب بالمنصور ، وقد غزا في حياته خمسين غزوة موفقة كلها . وهاك مثالا من غزواته فقد وصل مرة الى اقصى بلاد الشمال ، الى جليقية ، الى بلدة سنتياقب (Santiago) هناك ، فاكتسحها واسر الاسرى من اهلها ، وجرد كنيسة قديسها ساجاكوب من تحفها واجراسها — وحمّل الاسرى تلك الاجراس الى قرطبة .

ودالت الايام باهلها ، فسقطت خلافة قرطبة بعد عشرين سنة

(*) الفصل السابع من الجزء الثالث من كتاب « المغرب الاقصى » لامين الريحاني .

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

من وفاة المنصور ، فدخل النصارى الفاتحون المدينة ، وكانت تلك الاجراس لا تزال محفوظة ، فاعادوها على ظهور الاسرى المسلمين ، الى كنيستها في شنتياقب بجليقيه !

ولقد خص المنصور الناحية التي نحن الآن فيها بغزوة من غزواته ، فاكتسح الاديرة الغنية بالتحف ، ومنها دير سان بدرو بقره دينية ، قبل ان دفن فيه السيدروى بيباد وزوجته وحصانه .

توفي الحاجب المنصور سنة ١١٠٢ بعد وفاة السيد بثلاث سنوات ، وكان مثله في ختمة حياته مدحوراً محزوناً . توفي السيد بعد ان كسره المرابطون ، وتوفي المنصور بعيد واقعة نهر الدويره ، التي قاد ابنه فيها جيوش العرب على ملوك النصارى الثلاثة ، اي ملوك ليون ونابارة وقشتالة ، وكان فيها مدحوراً . وعاد الظافرون من الاندلس يجلون الغنائم ويسوقون الاسرى من عرب وصقالبة فانزلوهم في الاديرة التي اكتسحها سابقاً المسلمون ، ليقوموا بالاعمال في الحقول والمصانع ، التي يأمرهم بها الرهابين . ومن تلك الاديرة دير سيلوس (Silos) على نحو ستين كيلومتراً من برغوس . فقد كان فيه زهاء مئة اسير . وسيلوس دير قديم ، اقدم من العرب في الاندلس ، بناه احد ملوك القوط في القرن السادس للميلاد ، وكان مشهوراً في اوروبا خصوصاً عندما كان الاب دومينيق — القديس ذومينيق بعدئذ — يدير شؤونه . هو دير للرهبنة الدومينيقية ، وقد عاد اليه الدومينيقيون الفرنسيس يوم طردوا من فرنسه في سنة ١٨٨٠ .

كذلك يقول دليل بيديكر . ويقول ايضاً ما يدهش السائح في هذا الزمان . فمنذ ربع قرن لم تكن الطرقات في اسبانيه كلها صالحة للعربات . وما كانت تصل الى كل الاماكن التاريخية في البلاد . فكان على السائح الراغب بزيارة دير سيلوس مثلا ان يسافر بالـ « ديليجانس » اي عربة البريد ، الى قرية برباديو « Barbadillo » ومنها على الخيل او البغال الى الدير في الجبل . فتستغرق الرحلة يومين .

اما اليوم — واما نحن — فقد خرجنا من برغوس في السيارة بعد الغداء ، فوصلنا الى الدير بعد ساعة ، واقمنا فيه ، نطوف في ربوعه ، ثلاث ساعات ، ثم عدنا الى النزل مساء للعشاء .

الطريق بهيج ، يزين جانبيه الحور الباسق ، ويمتد اخضرار السهول الى الافاق المشرقة ، الا ما هناك من القرى ، نمر بثلاثة منها دكناء سمراء ، لاصقة بالارض ، مثل التي شاهدنا في الطريق من اشبيلية الى مدريد ، لا شامخ فيها من بناء غير الكنيسة .

استقبلنا عند باب الدير احد الرهبان . ورافقنا دليلا ، فمشينا في خطواته تواً الى بيت القصيد فيه ، وهو الصحن باروقته الاربعة ، المسقوفة كلها بالخشب المحفور ، الشبيه بالوانه فقط بالروافد العربية الاندلسية .

هذا الصحن باروقته الاربعة وعمدها واقواسها ، هو اجمل مثال في اسبانية للفن الروماني (Romanesque) فالاروقة تقوم على عمد مزدوجة ، باقواس مستديرة ، وتيجان بتماثيل هي بنت قصيدها كما ان الصحن بجمله هو بيت قصيد الدير .

عند تلك التيجان ينتهي ، في نظري ، الفن الروماني . وبتلك التيجان يقوم المعرض الفني الذي اشرت اليه في عنوان هذا الفصل .

ومنها نستمد البرهان على ان ادارة الدير كانت بايدي رهبان افاضل يحسنون معاملة الاسرى ، فيطلقون حريتهم في الاعمال التي يهوونها ويحسنونها ، لانهم اي اولئك الرهبان كانوا يقدرون الاعمال الفنية قدرها .

فيلسوف الفريكة امين الريحاني

قلت انعند التيجان ينتهي الفن الروماني لان التماثيل الصغيرة التي تزينها هي جامعة في اساليبها ومواضيعها لسائر الفنون . فكل عمود يختلف في نقش تاجه وتماثيله عن الاخر . من تلك النقوش ما هو روماني ، ومنها ما هو شرقي فارسي ، وشرقي هندي ، ومنها ما هو غوطي — ومنها العربي الاندلسي ، والبيزنطي العربي — فمن الرموز الحيوانية ، الى الاشغال الهندسية ، الى التوريق والتخريم ، الى الوجوه الساحرة والساخرة ، والمروعة المصنوعة بشتى الاساليب ، وبدرجات من الاتقان ، فيها الجيد والوسط والدون — هاك معرض الاسرى الفنانين في ذلك الزمان ، وبينهم المقلد والطالب والاستاذ والعبقري .

قال الراهب الدليل : في القرنين الحادي والثاني عشر كان المسيحيون والمسلمون في حروب مستمرة . فيأسر المسلمون الاسرى ، ويستخدمونهم في بيوتهم ، وفي تعمير مدنهم . وكذلك كان يفعل المسيحيون باسرى المسلمين . وقد كان منهم في هذا الدير كثيرون

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وبينهم الصناع الحاذقون بالنقش والتصوير. فصنعوا العمد والتيجان لهذه الاروقة ونحتوا التماثيل التي زينت بعدئذ العمد بها .

كأن اولئك الاسرى الفنانون قد تعلموا واقتبسوا فنون من تقدمهم في المشرق والمغرب . فنقل الواحد منهم عن البيزنطيين ، والاخر عن رسوم فارسية شاهدها ، وغيره عن القوط والعرب ، وكأن هذا الفنان قرأ في بعض الكتب عن التقمص الهندي فصور رؤوساً بشرية فوق مناكب حيوانات رهيبة او قبيحة او داجنة . وذاك كان يحسن النقش العربي فجاء عمله الممثل لخطوط الرواشن والرقم ابدع تمثيل .

ان في الاروقة الاربعة ، في الطابق الاول ، ستين زوجاً من تلك العمد ، وفي الطابق الثاني مثلها ، وكلها بتيجان منقوشة بالنقوش المختلفة ، ومزينة بالتماثيل المتنوعة ، التي ذكرت . هوذا معرض اولئك الاسرى الفنانين ، العرب والصقالبة ، الذين نعموا في اسرهم ها هنا ، بدير سيلوس ، وليس ما يدل على الحقيقة وعليهم غير كلمة من اخبارهم تناقلتها الاجيال ، وهذه الاثار الفنية الطريفة . فان في الدير مكتبة تحتوي على خمسة عشر الف كتاب ، وليس فيها كتاب واحد ، على ما علمت ، يذكر في فقرة او حاشية اولئك الاسرى الفنانين رحمهم الله .

ومن آثار دير سيلوس متحف طبيعي صغير ، معروضة فيه امثلة من معادن تلك الناحية ، وطبقاتها الجيولوجية ، ومن طيورها وحيواناتها ، وبينها الصقر والهدهد ، والذئب والخنزير البري .

ومن مآثر رهبان الدير الاساتذة انهم يعلمون اللاهوت في مدرسته اللاهوتية ، ويصنعون الخمر ، لا للتجارة ، بل لانفسهم ، وللطلبة — عوناً على اللاهوت .

كان الرئيس قد علم بالزائر العربي ، فجاء الى غرفة الاستقبال يرحب بنا . وقد حدثنا عن زعيم البلاد الجنرال فرنكو حديث معجب به فقال : هو من الشمال — من غليسيه — وعباقرة الاسبان كلهم من الشمال .

لا اظن ان حضرة المحترم اراد ان يغمط الاندلس حقها ، او ان ينكر شهرة ابنائها العباقرة من عرب واسبان . انما هي كلمة قالها . ولكنه استفزني ، وما شئت ان اذكر العرب تأدباً ، فقلت : ومن ننسى ان فلسكيز ولد باشبيليه وان الدكتاتور الجنرال بريموده ريبيرا من شريش ؟

كان احد الرهبان قد جاء بشيء من خمر الدير ، في كؤوس لا عيب فيها الا انها صغيرة ، فشربت كأسي قبل ان ذكرت فلسكيز فقال الرئيس الظريف الخفيف الروح ، بعد جوابي على كلمته : تستحق كأساً اخرى .

وكنت قد كتبت في كتاب الدير الذهبي هذه الكلمة : في العزلة تجد الله . فقلت لحضرته بمناسبتها : واني مسيحي ثالوثي . فابتسم — دامت ابتسامته — وامر بالكأس الثالثة له ولي ، فاثلثنا على ذاكر الحبيب ، سبحانه وتعالى .

امين الريحاني

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

في الشهر القادم

يصدر عدد « الاديب » الخاص عن :

المعري

يساهم في تحريره كبار كتاب العالم العربي

ثمن الجزء ليرتان لبنانيتان في سوريا ولبنان و ٢٠٠ مليم في مصر ٢٠٠ فلس في العراق و ٢٠٠ مل في فلسطين

من

خمريات الصافي

م

لاحمد الصافي النجفي

نادمت كاس الراح بعد احبتي ... فالكأس ضمت خمرتي ونديمي
اني انزويت بقعر كأسي تاركاً ... آلام مجتمعٍ وحرب خصوم
لم يبق لي في الكأس غير ثمالة ... ابقيتها ذكرى هنى ونعيم
فكأنما هي كوة منها ارى ... عهد الصبا ان تنسنيه همومي

•

بخديك من زهو الورود بقية ... وفضل مدام من شبابي باقي
هلمّ بنا نشرب ثمالة كأسنا ... على زهو ورد مؤذن بفراق

سكرة الاسى

قد شربت الطلى وعمري ستون ... فعادت به الى العشرين
ما كفى فعلها بعقلي حتى ... ظهرت لي افعالها بالسنين
فاذا بالسنين مثلي نشاوى ... راجعات الى الصبا والمجون
ليتها مع صباي قد ارجعت لي ... رفقاء الصبا وعهد الفتون
لم اجد كل ما افتش عنهم ... غير ميت رهن التراب دفين
اسكرتني بعد المدام دموعي ... وغدا النقل زفرتي وانيني
ذهبت سكرة الطلى من فؤادي ... وابتدت سكرة الاسى من عيوني

نبي في حانة

حباني الجام سراً ... تضمن الالهاما
فلست اودع سري ... ما عشت الا الجاما
افديه كاتم سر ... بسره نماما
لم الق لي من نديم ... كالجام يطفي الاواما
صافي الفؤاد لطيف ... اهيم فيه غراما
فالخمر عندي لفقد النديم ... صارت حراما
لا يبلغ السكر عقلا ... به ادير الاناما
اصحو ولفظي نقل ... لمن يعب المداما
وان شربت فسكري ... يدير سكر الندامى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

خصائص الحضارة العربية

بقلم
عبد الرحمن بدوي
مدرس الفلسفة بكلية الآداب في جامعة فؤاد الاول

الحضارة كالكائن العضوي الحي، لها ما لكل كائن حي من قانون الميلاد والنمو والانحلال والفناء. فلكل حضارة طفولتها وشبابها، ولها نضجها وشيخوختها. « فهي تنشأ، كما يقول اشبنجلر، في اللحظة التي تستيقظ فيها روح كبيرة، وتستقل بذاتها عن الحالة النفسية البدائية التي توجد فيها الطفولة الانسانية. وهي تولد في بقعة من الارض محددة تمام التحديد، ترتبط بها ارتباط النبتة بالتربة. والحضارة تموت حينما تحقق هذه الروح كل ما بها من ممكنات على صورة شعوب ولغات ومذاهب دينية، وفن، ودول سياسية، وعلوم، فترجع حينئذ الى الحالة الاولى البدائية. ووجودها الحي نضال باطني قوي من اجل الاستيلاء على القوى الخارجية في الطبيعة المختلطة المبهمة وعلى الغريزة الداخلية التي لاذت بها هذه القوى مع ما تنطوي عليه من حقد وحنق»، فهذه الروح تبدأ بأن تحقق ما تحتويه من قوى، وتستمر في هذا التحقيق شيئاً فشيئاً طالما كان بها امكانيات وقوى خصبة، حتى اذا اتت على نهايتها كان ذلك ايذاناً بانها بلغت اقصى ما تستطيع ان تصل اليه، وحينئذ تنتقل من دور الخلق والابداع الى دور الاستهلاك والتبديد، والدور الاول يسمى بالحضارة بمعناها الضيق، والدور الثاني يسمى بدور المدنية. والدور الاول وهو الحضارة يمتاز بان الروح فيه متجهة الى باطنها وما يحتويه هذا الباطن من قوى زاخرة فياضة، بينما الروح في دور المدنية تتجه الى الخارج. وهذه الميزة الاولى تظهر في الناحية السياسية بان الدور الاول يمتاز بتكوين الدويلات المستقلة او الدول المحددة تمام التحديد، بينما يدفع النزوع نحو الخارج الى انشاء الامبراطوريات الواسعة. وفي الناحية الروحية نحو النزعة العقلية بمعنى الايمان المطلق بالنتائج التي يصل اليها العقل الذي يحلل وينقد هي السائدة في تفسير الاشياء في دور المدنية، بينما المعقول واللامعقول غير منفصلين في دور الحضارة، فتغلب النزعة الصوفية العميقة.

فلنأخذ الآن هذا التعريف ولنحاول تطبيقه على الحضارة العربية.

وهنا يجب ان نحدد اولا المقصود بقولنا الحضارة العربية. فان المؤرخين قد اعتادوا حتى اليوم ان لا يطلقوا الحضارة العربية الا على تلك الحضارة التي بدأت بالاسلام وانقسموا حيالها الى فريقين: فريق يجعلها حضارة مستقلة قد كونت دورة تامة مقفلة على نفسها، وفريق حاول ان يربط هذه الحضارة بالحضارة اليونانية الرومانية او بحضارة البحر المتوسط بوجه عام. اما الفريق الاول فهو الفريق الشائع العام، ولكن رجاله لم يحاولوا ان يبينوا كيف تكون الحضارة العربية المفهومة بهذا المعنى حضارة تامة مقفلة، ومرجع ذلك اما الى جهل هؤلاء بفلسفة الحضارات، وانعدام الحاسة التاريخية لديهم، مما جعل رأيهم هذا رأيا ساذجاً قد اعفى الباحث من مهمة مناقشته ونقده واما الى انهم استعملوا كلمة حضارة في معنى غامض غير مفهوم لديهم ولا محدود.

اما اصحاب الرأي الثاني وهو الذي يريد ان يربط الحضارة العربية بالحضارة اليونانية الرومانية فعلماء ممتازون قد حاولوا تأييد ما ذهبوا اليه بحجج قوية تجمع بين دقة النظرة وسعة الاطلاع. ولهذا يجدر بنا ان نتأمله بعناية ودقة.

من اشهر القائلين بهذا الرأي كارل هينرش بكر. فقد القى محاضرة في مؤتمر المستشرقين الالمان سنة ١٩٢١ بعنوان « الاسلام كجزء من تاريخ للحضارة عام»، حاول فيها ان يربط تاريخ الحضارة الاسلامية بالتاريخ الاوروبي. ان المقياس الذي نقيس به اشتراك شعوب مختلفة في حضارة واحدة هو، في نظر بكر، تشابه الاسس الحضارية التي تقوم عليها حضارات هذه الشعوب فاذا اتفقت جملة شعوب في هذه الاسس، فانها تنتسب جميعاً لحضارة واحدة. ويقصد بكر بهذه الاسس التراث المشترك. فمها اختلفت الشعوب من الناحية الجغرافية او الناحية الجنسية، فانها تعتبر مكونة لدائرة حضارة واحدة اذا كان التراث الذي يكون اساسها الحضاري واحداً. لان العوامل الجغرافية والجنسية عوامل مساعدة او مقاومة، ولكنها ليست عوامل حاسمة.

فاذا نظرنا الى الحضارة الاسلامية تبعاً لهذا المقياس وجدنا ان هذه الحضارة تقوم على اسس حضارية ثلاثة هي، اولا: الشرق القديم خصوصاً فيما يتصل بالنبوة السامية والشريعة الموسوية والثنائية والتصورات الاخروية الفارسية، والصورة التي رسمها البابليون للكون؛ والاساس الثاني هو الحضارة اليونانية الرومانية على صورة

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الهلينية وبخاصة فيما يتعلق بالحياة اليومية وبالعلم والفن ؛ والاساس الثالث والاخير المسيحية بما لها من عقائد وتصوف . فاذا قارنا هذه الاسس بالاسس التي تقوم عليها الحضارة الاوروبية لوجدنا ان الاسس واحدة ولا اختلاف الا في الطابع الجنسي ونجاح التطور . فان الحضارة الاوروبية تقوم على اسس اربعة هي النبوة السامية والحضارة اليونانية ، والنزعة الامبراطورية القديمة ، والعصور الوسطى الغربية وخصوصاً الجرمانية . فاذا اضفنا الى ذلك الصلات التاريخية العديدة التي نشأت عن امتداد الحضارة اليونانية الرومانية الى البلاد التي ستكون في المستقبل مسرح الحضارة الاسلامية وعن انتشار الروح السامية في اواخر الامبراطورية الرومانية ، وامتداد الغزو الاسلامي حتى تور وروما وفينا ، وتبادل الغزوات من جانب المسلمين والصليبيين ، وتأثير الشعر الغنائي العربي والفلسفة الاسلامية ورحلات الفرسان من الشرق الى الغرب ، فضلا عن ان البحر المتوسط مسرح مشترك لكلتا الحضارتين . فالحضارة الاسلامية مركز ممتاز من هذه الناحية على الشرق ، نظراً لمركز بلدانها المتوسط بين الشرق وبين اوروبا .

وكل ما هنالك من اختلاف بين هاتين الحضارتين في نظر بكر هو نجاح هذا التراث في اوروبا في ايجاد النزعة الانسانية التي بفضلها تكونت اوروبا الحديثة . بينما هذا التراث عينه لم يؤد الى ايجاد نزعة مشابهة للنزعة الانسانية في البلاد الاسلامية مع ان الاحوال في هذه البلاد كانت شبيهة بالاحوال الموجودة في اوروبا إبان عصر النهضة . فقد كان في البلاد الاسلامية امراء يعنون بالعلوم والفنون ويشجعون العلماء واصحاب الفن ، كالامراء الذين شجعوا على ايجاد النهضة والنزعة الانسانية في اوروبا . كما كان في البلاد الاسلامية نزاع بين مطالب الدين ومطالب الدنيا ، بل كان نصيب العالم الاسلامي من التراث اليوناني اكبر من نصيب العالم الاوروبي ، مع ان النزعة الانسانية والنهضة مرتبطتان بهذا التراث اشد الارتباط .

وانما انتج هذا التراث في العالم الاسلامي اشياء تختلف كثيراً عما انتجه العالم الاوروبي ، بل ان الاشياء التي اتفق كلا العالمين في اخذها عن التراث صبغها الواحد منهما بصبغة اخرى غير تلك التي صبغها بها الآخر ، وكان هذا الاتفاق احياناً اتفاقاً في الاسم فقط دون المضمون والمعنى . فا « لمدينة » اليونانية ، بالمعنى المحدد لها في الحضارة اليونانية ، قد قضى الاسلام عليها ولم يعد في الاسلام مدينة تعادل المدينة اليونانية او تشابهها . بينما الحال على خلاف ذلك في اوروبا . فمهما يكن من شأن الطريقة التي نشأت بها الحياة السياسية والثقافية في مدن العصور الوسطى في ايطاليا او في المانيا ، الا انه كان يحيا في هذه المدن ارادة الحياة عينها التي وجدت في « المدينة » اليونانية ، على الرغم من اختلاف المظاهر الخارجية فالاسكندرية او المدائن اقرب بكثير الى البندقية وميلانو منهما الى بغداد او القاهرة . لان فكرة المواطن الحر لم توجد في هاتين المدينتين الاخيرتين ، بينما هي اساس الحياة في المدينة اليونانية وفي المدينة الاوروبية في العصور الوسطى . وجماعات الاخوان التي وجدت في العالم الاسلامي ، وان قامت على شيء يشبه فكرة الايروس اليونانية ، الا انها تختلف عن جماعات الاخوان في اوروبا . لان جماعات الاخوان في العالم الاسلامي كان مبدأ الاخوة فيها لا يصدر عن الذات او الانا ، وانما كان يصدر عن الاخرين . والكنيسة الغربية وضعت نفسها موضع الوارثة للامبراطورية الرومانية . ولكن الكنيسة الغربية تختلف عن فكرة « الامة » في الاسلام كل الاختلاف . ونجد هذا الاختلاف عينه في الاحساس الفني والتصوير الخيالي . فاذا كان من الصحيح ان ابن عربي قد اثر في الكوميديا الالهية لدانته ، فان الصور الشعرية تختلف اختلافاً كبيراً يؤذن باختلاف الروح بين الاثنين . فصور ابن عربي صور تجريدية عارية عن الشخصية ، بينما صور دانته صور حية ذاتية .

وهكذا نجد اختلافاً بيناً في كل الميادين بين نتاج التراث اليوناني في العالم الاسلامي ونتاجه في العالم الاوروبي . فكيف نفسر هذا الاختلاف ؟

هنا نجد بكر يتردد في الاجابة على هذا السؤال في هذه المحاضرة ويتساءل ألا يمكن ان يرجع هذا الى اختلاف جنسي بين الشعوب الاوروبية والشعوب الاسلامية . ولكنه لا يستطيع ان يؤكد هذا التعليل وانما يكتفي بان يختم هذه المحاضرة بقوله انه يرى ان يكون الاسلام جزءاً من تاريخ الحضارة الاوروبية لسببين : امكان المقارنة بشكل واضح بين العالم الاسلامي والعالم الاوروبي في تأثر كل بتراث واحد ، وكثرة التأثيرات التاريخية المتبادلة بين كلا العالمين .

ولكنا نراه في محاضرة اخرى القاها بعد عشر سنين من محاضرته الاولى يجيب عن هذا السؤال بلهجة حاسمة قاطعة فيرجع هذا الاختلاف في موقف كل من العالمين الاسلامي والاوروبي ازاء التراث اليوناني الروماني الى العوامل التاريخية والجغرافية والجنسية ، ثم الى ما هو اهم من هذا كله وهو اختلاف العقليتين ، فان العالم الاسلامي لم يأخذ من التراث اليوناني الا ما كان ذا نزعة عقلية منطقية . « وكل شيء كان نصيب الروح اليونانية في صورة اكبر من نصيب العقل

اليوناني مثل الشعر الغنائي اليوناني والادب الروائي كله ، وكل ما كان يونانياً بحتاً كآلهة هوميروس وكبار المؤرخين اليونانيين ، كل هذه الاشياء ظلت ابوابها موصدة امام الشرق » . بينما العالم الاوربي قد تعلق في عصر النهضة اكثر ما تعلق بهذه الاشياء التي تعبر تعبيراً صحيحاً عن الروح اليونانية ، وكان تعلقه بها الطابع الرئيسي لعصر النهضة ، لان النهضة لم تكن في الواقع علمية بقدر ما كانت فنية .

وهنا يحق لنا ان نتساءل عن هذا التطور في فكر بكر . او ليس من شأن هذا التطور ان يقضي على الفكرة الاولى التي نادى بها وهي ان الحضارة الاسلامية يمكن ان تدخل في نطاق تاريخ الحضارة الاوربية ؟ انه يتحدث عن اختلاف في العقليتين ، اختلاف قد جعل الحضارة في العالم الاسلامي متمايزة كل التمايز عن الحضارة في العالم الاوربي ، فما معنى هذا ؟

معناه ان المقياس الذي اتخذه بكر ليس بالمقياس الصحيح ، واذا كانت الحال كذلك فيجب ان توضع المسألة من جديد وضعاً آخر ، لان نظريته كلها تقوم على اساس هذا المقياس .

والواقع ان الباحثين ، خصوصاً في اواخر القرن الماضي ، قد اساءوا استخدام هذا المقياس الى حد بعيد ، فراحوا يبحثون عن المشابهات بين الحضارات المختلفة ، وحاولوا ان يرجعوا هذه المشابهات الى تأثر الحضارة الواحدة بالحضارة الاخرى ، واجهدوا انفسهم في اكتشاف هذه الاستعارات او السرقات حتى جعلوا الحضارات والناس جميعاً لصوصاً ناهبين . وأعمتهم هذه النزعة فافقدتهم كل حاسة للتمييز ، حتى اصبح التشابه في اللفظ كافياً للتشابه في كل شيء آخر . وليس من شك في ان هذه النزعة نتيجة من اسوأ النتائج للاتجاه الآلي في تفسير الاشياء ، وهو الاتجاه الذي ساد عصر الوضعية فانه اذا كان من الممكن ان نأخذ بهذا الاتجاه في العلوم الطبيعية ، فلا يمكن مطلقاً ان نأخذ به في العلوم الروحية وعلى رأسها التاريخ . لان هذه النزعة تفقد كل شيء روحه ، وتحيله الى مادة خالصة ، بينما البحث هنا موضوعه الروح ، فاذا فقدتها فقدت كل شيء تقريبا .

فان شيئاً من الاحساس التاريخي الكاف بان يؤكد لنا وجوب التمييز بين هذه الاشياء التي يحيل الى هؤلاء الباحثين انها واحدة او متشابهة . ولهذا رأينا الباحثين في اوائل قرننا هذا يثورون على هذا المنهج الفاسد ، وينادون بوجوب التمييز ويطالبون بتوفر الحاسة التاريخية لكل من يتصدى للبحث في التاريخ ، حتى لا يخلط بين الاشياء هذا الخلط الشنيع .

هذه الثورة الجديدة في النظرة الى التاريخ بلغت أوج شدتها عند اشبنجلر . ان اشبنجلر يرى ان الحضارات مستقلة بنفسها تمام الاستقلال الواحدة عن الاخرى وان ما يخيل الينا من وجود تشابه بين حضارة واخرى انما هو تشابه ظاهري لا يكاد يتجاوز حد اللفظ . فالحضارة اللاحقة لا تأخذ عن الحضارة السابقة غير طائفة قليلة جداً من الاشياء ، ولا ترتبط بها الا بمقدار لا يكاد يذكر من الروابط . بل ان هذه الاشياء التي تأخذها الحضارة الواحدة عن الحضارة الاخرى لا تأخذها منها كما هي بدون تمييز بل تختار ما يتلاءم وإياها ، اي ما يتفق وروحها وحتى هذا الذي تأخذه لا تلبث ان تحيله وتبدل فيه حتى يتكيف وروحها تكيفا تاماً . لان روح كل حضارة مختلفة عن روح غيرها من الحضارات اشد الاختلاف . فاذا كانت الاشياء التي تصدر عن حضارة من الحضارات تمثل روح هذه الحضارة فلا بد لكل حضارة تحاول الاخذ من حضارة اخرى ان تحيل هذه الاشياء الى طبيعتها ، ومعنى هذا بعبارة صريحة ان تخلقها خلقاً جديداً . فكل تأثر اذاً هو في الواقع تغير ، سواء كان هذا التغير نحو الاحسن او كان نحو الاسوأ . فالحضارة الواحدة اذاً لا تأخذ من حضارة اخرى غير الاشياء التي تتفق وروحها ، وهي لا تلبث من ناحية اخرى ان تحيله الى طبيعتها الحالة تكاد تكون مطلقة . ونضرب لهذا مثلا بتأثر الحضارة اليونانية بالحضارة المصرية في الفن . فان الحضارة اليونانية لم تأخذ من الفن المصري اهرامه ولا مداخل معابده ، ولا مسلاته ، وانما اكتفت بان اخذت شيئاً من اسلوب التماثيل والاعمدة . وحتى هذا الذي اخذته قد بدلت فيه تبديلا يكاد يقضي على كل ما يميزه وهو روحه : فما ابعد الفارق بين الاعمدة المصرية والاعمدة الدورية ، وما اكبر الاختلاف بين التماثيل المصرية وبين تمثال يوناني كتمثال قاذف القرص ! فالاصل اذاً في كل هذه الاقتباسات هو روح الحضارة التي تقتبس .

فلا يجب ان نخدع اذاً بتأثير الحضارة في الحضارة ، بل يجب ان نقومه التقويم الصحيح على اساس ان لكل حضارة روحها الخاصة ، وان الاشتراك في التراث لا يدل على شيء بالنسبة الى روح من يشتركون في هذا التراث . وبهذا نكون قد قضينا نهائياً على المقياس الذي اتخذه بكر ، وعن طريقة خيل اليه انه يستطيع ان يثبت ان الحضارة الاسلامية يمكن اعتبارها جزءاً من الحضارة الاوربية .

ولكن ليس معنى هذا ان الحضارة الاسلامية حضارة قائمة بذاتها تكوّن دائرة حضارة مقفلة . وانما هي جزء من حضارة كبيرة

هي احدى الحضارات الثمان الكبرى التي بينها اشبنجلر وحلل روح الثلاث الرئيسية منها. هذه الحضارة التي سماها اشبنجلر باسم «الحضارة العربية» . واغلب الظن انه سماها بهذا الاسم لان الحضارة العربية هي اهم جزء في هذه الحضارة الكبرى.

والان فلنعد الى التعريف الذي ذكرناه في اول كلامنا كي نعرف ماهية وخصائص هذه الحضارة .

يقول هذا التعريف ان لكل حضارة تربتها الخاصة المحددة تمام التحديد . فما هي هذه التربة بالنسبة الى الحضارة العربية ؟

هذه التربة واسعة فهي تحد من الشمال بمنطقة تسودها مدينة الرها ؛ ومن الجنوب بسوريا وفلسطين ومصر وفيها تسود مدينة الاسكندرية؛ ومن الشرق تحد بنهر سيحون اي تشمل ايران كلها

وفي اقصى الجنوب نجد بلاد العرب، وفي اقصى الشمال من هذه التربة مدينة بيزنطة . فهذه التربة هي بوجه عام تلك المنطقة التي صبغها الاسكندر بالصبغة الهلينية ، والتي ارتقت مدنها الرئيسية وهي الاسكندرية وانطاكية والرها وافسوس وبيزنطة والمدائن في الوقت الذي كانت فيه مدن الغرب تعاني دور الفناء والاضمحلال : فقد اصبحت هذه المدن مدناً عالمية امتلأت بالكاتدرائيات والاسواق والمباني الضخمة .

هذا حدها من ناحية المكان ، فلنبحث في حدها من ناحية الزمان . قلنا ان كل حضارة تولد في اللحظة التي فيها تستيقظ روح كبيرة فتستقل بذاتها عن الحالة النفسية البدائية التي توجد فيها الطفولة الانسانية . وروح الحضارة العربية قد استيقظت في السنوات الخمسمائة الاولى من ميلاد المسيح ، فان هذه الفترة هي الربيع بالنسبة الى الحضارة العربية . ولكنها سبقت مع ذلك بهذه الطفولة التي استيقظت في احضانها ، وهي الطفولة التي تتمثل في الاديان السماوية عند الفرس واليهود والكلدانيين حوالي سنة ٧٠٠ ق.م. لاول مرة ، ثم تظهر هذه الطفولة مرة ثانية حوالي سنة ٣٠٠ ق.م مع هذه التيارات التي كانت كلها نبوءات بمصير العالم ومستقبل الشعوب ، وفيها وجدت هذه التفرقة الثنائية بين النور والظلمة ، والتصويرات المختلفة للجنة والنار والآخرة بوجه عام ، مع ما صاحب ذلك من التبشير بنبي يبعث . ثم تولد روح هذه الحضارة في القرون الاولى للمسيحية بميلاد روح الاسطورة : فالروح العربية تصوغ حول زرادشت اسطورة من الطراز الممتاز : فحين يولد زرادشت تنبعث منه ضحكة تصعد الى السماء وتتجاوب بها انحاء الوجود ؛ والحواريون يصاغ حولهم اساطير تملأ بضجيجها المدن التي على البحر المتوسط والعالم اليهودي يحيك من جديد قصص داود والآباء الاولين ، ويرتفع الوثنيون الهلينيون بفيثاغورس وهرمس وابولون الطواني الى مرتبة انصاف الآلهة . ثم تستمر روح الحضارة في اظهار ما تحتويه من قوى خصبة زاخرة ، فتنشأ المذاهب او الاديان الجديدة . فينشيء ماني في القرن الثالث في ايام الملك سابور ديناً او مذهباً دينياً جديداً ، يكون جامعاً بين كل المذاهب الدينية التي انتجتها الروح العربية حتى وقته، ويأتي القرن الرابع فتثبت المذاهب الدينية وترسخ اقدامها فتصبح المزدكية دين الدولة في ايام الملوك الساسانيين، وفي روما تصبح عبادة مترا الديانة السائدة وذلك في ايام ديوكليسيان ؛ ثم يجعل قسطنطين الديانة المسيحية الديانة الرسمية للدولة الرومانية ، وهكذا الحال ايضاً في مملكة سبأ واكسوم . وبهذا ينتهي ربيع هذه الحضارة .

حينئذ كان لا بد لهذه الروح ان تبلغ اوجها وان تحقق كل ما فيها من ممكنات فيأتي دين يسود الاديان كلها ، ويأتي شعب سياسي يغزو هذه المناطق ويعقد لها لواء واحداً . فكان هذا الشعب هو الشعب العربي، وكان هذا الدين هو الاسلام فتكونت بهداية هذا الدين وبفضل طبيعة هذا الشعب الحضارة الاسلامية التي هي القمة العليا التي بلغتها الحضارة العربية ، والتي بلغت اعلى نقطة قدر لها ان تصل اليها حين طرق الصليبيون ابواب بيت المقدس واستطاعوا ان يعزوا به مسرعين . ولكن هذا الحادث عينه كان اشارة لانحلال الحضارة العربية، وايذاناً بميلاد الحضارة الاوربية.

هذه الحضارة العربية العامة لها روحها الخاصة التي لا يشاركها فيها اية حضارة اخرى ، والتي سادت جميع فروعها من بيزنطية وفارسية واسلامية . فلكي نفهم اذاً روح الفرع الذي يعنينا الآن من هذه الحضارة العربية الكبرى ، ينبغي ان نبين الخصائص الرئيسية لروحها .

اول خاصية من خصائص هذه الروح التفرقة الواضحة التي تضعها بين النفس والروح وهي تفرقة رئيسية نجدها واضحة في كل مظاهر هذه الحضارة من فن وعلم ودين وقانون وسياسة . فالروح مصدرها الله، مصدرها الملكوت الاعلى والنور ، بينما النفس مختلطة بالجسم وبالتراب وتعاوهما الظلمة والاولى مصدر الخير ، والثانية مصدر الشر فما صدر عن الاولى فهو حسن ؛ وما صدر عن الثانية فقبيح . والناس ينقسمون الى نفسانيين وروحانيين . ولما كانت هذه الروح صادرة عن الله ، فهي من اجل ذلك روح واحدة بينما النفوس فردية مختلفة . وهذه الروح تعبر عن نفسها في الناس عن

طريق « الكلمة » ، فالكلمة هي رسول هذه الروح العليا للناس .

ومن هنا فان الروح ، وهي واحدة بين الناس جميعاً ، هي مصدر الخير . فليس للانسان اذاً الا ان يفنى في هذه الروح ، وان ينكر نفسه كل الانكار ، لانها مصدر الشر والظلمة . ولهذا فان روح الحضارة العربية تنكر الذاتية اشد الانكار ، لانها تفني الذات في هذه القوة العليا ، وترى في هـذا الفناء واجب الانسان الرئيسي ، وعلى هذا الاساس يجب ان يقوم كل شيء . فكل ما كشف عن ذاتية ، او اتجه نحو توكيد الذاتيــة فهو شر . ففي الاخلاق لا شيء امام الانسان غير التسليم لهذه القوة العليا ؛ وفي الجمال الجميل هو ما مثل هذه الروح او دفع الى الارتفاع اليها ؛ وفي المعرفة ، كل معرفة صادرة عن استقلال الفكر باطل وضلال ، وانما المعرفة الحقيقية هي تلك التي تصدر عن هذه الروح المشتركة ، اي تلك التي تصدر عن الاجماع ، لا عن الحكم الفردي .

والان نستطيع ان نتبين هذه الخاصة والنتائج المترتبة عليها بوضوح في مظاهر الحضارة العربية الرئيسية وهي الفن والدين والقانون والسياسة .

اما الفن . فقد كان من نتائج فقدان الذاتية فيه ان انعدمت الفنون التجسيمية في الحضارة العربية من تصوير ونحت ، لان في تصوير الجسم المستقل والشخصية المستقلة المفردة تعبيراً عن الذاتية ، وهذا ما لا يتفق وروح هذه الحضارة . وانما انتجت لهم عن طريق الالوان نوعاً خاصاً هو اكبر توكيد للروح المنافية الذاتية العاملة على القضاء عليها ، وهذا النوع هو ما يسميه الافرنج باسم «الارابسك» . ولما كان هذا النوع من الفن هو اعظم ممثل للروح العربية الى جانب القوس على شكل نعل الحصان ، فجدير بنا ان نتأمله قليلا . ان النموذج الاول لهذا النوع نشاهده في الفن البيزنطي ، وفيه نرى واضحاً الفارق بين الروح العربية والروح اليونانية . فكل من الروحين قد استعانت في هذا النوع من الفن بطريقة تكرار ورقة الشجرة المعروفة بشوكة اليهود (الاكنثا ، باليونانية) . ولكن يظهر في الفن اليوناني واضحاً ان كل ورقــة لها كيانها وجسمها المستقل ، اي لها ذاتيتها ، ان صح هنا هذا التعبير ، بينما الفن البيزنطي يحلل ورقة شجرة اليهود الى شبكة من الخيوط غير محدودة تملأ مسطحات كامـلة ، مما يسلب الورقة كل استقلالها بكيانها الخاص . اما « الارابسك » فهو كما يقول اشبنجلر بلا جسم ، بل ويسلب الشيء الذي يرسم عليه جسمه ، وذلك بان يغطيه بتكرارات كثيرة . وان « للارابسك » لخاصية اخرى ليست صادرة مباشرة عن الروح العربية العامة بل عن التمايز البسيط الذي للشعب العربي عن هذه الروح العامة ، ولهذا فلن نتحدث عن هذه الخاصية الا حين نبين هذا التمايز .

فاذا انتقلنا من الفن الى الدين ، وجدنا ان هذه الخاصية هي الخاصية الرئيسية في كل الاديان السماوية ، ولهذا نشأت كل هذه الاديان في بيئة الروح العربية . ومن اجل هذا نرانا في غير حاجة الى بيانها في هذا الميدان .

وهذه الخاصية نجدها واضحة كل الوضوح في القانون . فان القانون القديم ، اليوناني والروماني ، صادر عن الذاتية ، لان الافراد هم الذين يوجدونه كنتيجة لتجاربهم العملية ، بينما الروح العربية تعتبر القانون صادراً عن القوة العليا او الله . ولهذا لا تجد الروح معنى لهذه التفرقة التي يضعها القانون الروماني بين القانون الوضعي (يوس) والقانون الالهي (فاس) ، ما دام مصدر القانون واحداً . واذا كان القانون صادراً عن الله ، فسيصدر عنه اذاً على شكل « كلام » له اي على شكل كتب مقدسة فيها بيان اوامره ونواهيه ولهذا فان مهمة القاضي في الروح العربية تختلف تمام الاختلاف عن مهمة البريتور عند الرومان ، لان مهمة الاول مهمة الشارح ، بينما مهمة الثاني مهمة من يستخلص القــانون من الاحوال العملية والحوادث التي تقع . واذا لم يكن في كلام الله ما ينطبق على الحالة المعروضة على القاضي ، فليس له ان يحكم بنفسه ، بل لا بد من الاجماع . ولهذا عد الاجماع دائماً المصدر التالي مباشرة للكتب السماوية .

واخيراً نرى نفس الخاصية متحققة في ميدان السياسة . فالحكم دائماً يجب ان يكون مستمداً من هذه القوة العليا ، والا فسد الحكم . ولهذا اعتبر الحاكم دائماً رجل دين ، وجمع الحاكم في نفسه بين السلطة الدينية والسلطة الدنيوية ، وفكرة الخـلافة الاسلامية اوضح مثال لما نقول . ثم ان فكرة هذه الروح عن هـذه الدولة ليست هي الفكرة المعروفة عن الدولة بمعنى ان الدولة حدود سياسية فحسب ، بل الدولة هي الامة المؤمنة .

تلك هي الخصائص العامة الرئيسية للروح العربية كما تتمثل في هذه المظاهر التي تعبر عنها وهي واضحة اجلى وضوح في الحضارة الاسلامية ، او الحضارة العربية بمعناها الضيق ، لان هذه الحضـارة الجزئية هي كما قلنا من قبل اعلى درجة وصلت اليها الحضارة العربية .

الا ان العامل الجنسي عامل له اثره ولا بد من اعتباره . فليست الشعوب المختلفة التي انشأت الروح العربية العامة متساوية في تمثيلها

لهذه الروح ، بل تختلف بحسب اجناسها ، ولما كان العرب هم الذين يعنونا في هذا المقام فلنتحدث الان عن خصائص هؤلاء .

اختلف الباحثون اختلافاً كبيراً في بيان الطابع المميز للرجل العربي وعندنا ان خير من اكتشف هذا الطابع لسن الذي قال ان الطابع المميز للعربي هو سيادة الارادة فيه على ملكتي النفس الاخريين وهما العاطفة والعقل . فلكات العربي الروحية مرتبة على اساس ان الارادة هي الملكة السائدة ويليها العاطفة وفي النهاية يأتي العقل . والارادة اذا سادت في الانسان اتصف بالقدرة والشجاعة على القيام بالاعمال الخطيرة ، واتصف بالحزم وسرعة التنفيذ . ولكن هذه الارادة اذا لم يحكمها العقل كانت ارادة مندفعة لا تعرف لها غاية معاومة ، كما انها تعني عند اصحابها العجز عن القيام بالاعمال الروحية ، اي على الانتاج الروحي ، وهي في الواقع تطبع صاحبها بالطابع العملي ، وتصرفه عن التأمل النظري . ومن اجل هذا نرى اصحابها فقراء في العلوم النظرية ، اغنياء في العلوم العملية . واذا كانت العاطفة في المرتبة الوسطى وليس العقل في المرتبة الاولى ، فان صاحب هذا النوع من التركيب الذهني يعوزه الخيال . لان الخيال مزيج من العاطفة والعقل .

فاذا نظرنا الى مظاهر الحضارة العربية من هذه الزاوية استطعنا ان نفسر ما كانت عليه هذه المظاهر .

فان الفن العربي لم يستطع ان ينشيء الملاحم او الروايات التمثيلية لان العربي يعوزه الخيال . وما انتجه هذا الفن يكشف عن ذلك الطابع الذي ذكرناه آنفاً وهو سيادة الارادة على بقية الملكات العقلية فان اوضح نتاج فني للروح العربية الخاصة هو القوس على شكل نعل الحصان . فاذا تأملنا هذا القوس وجدنا انه ذو نتوء يخرج على العمود المرتكز عليه . وهذا النتوء لا تقتضيه قوانين الاستاتيكية وانما يبدو خارجاً على هذه القوانين . وما يحفظ القوس على هذا الشكل هو قوة الارادة . ونحن قلنا ان هذه الارادة ارادة غير موجهة ، وهذا نراه واضحاً في النتاج الثاني المثل للروح العربية الخاصة اصدق تمثيل ، وهو « الارابسك » الذي تحدثنا عنه منذ حين فانه يشاهد في هذا الارابسك انه ليس بذي اتجاه ، لانه يمكن ان يتخذ أي اتجاه ، كما لاحظ الفرد روزنبرج ، فهو يدل على ارادة ، وفي الان نفسه يدل على ان هذه الارادة ارادة غير موجهة .

واذا كانت العلوم النظرية في الحضارة الاسلامية لم يشتغل بها الا غير العرب من فرس ومغول ، فالعلة في ذلك تلك الخاصية التي ذكرناها وهي سيادة الارادة وقيام العقل في المرتبة الاخيرة للملكات النفسية . وهذا يفسر لنا بوضوح كيف ان العرب هم الذين قدموا الثروة العربية الثالثة الخالصة وهي الشريعة الى جانب الدين واللغة . فالشريعة علم عملي ، لذلك استطاع العرب ان يبرعوا فيه .

اما السياسة فقد برز العرب في ميدانها العملي لا النظري اعظم تبريز . وذلك لان السياسة العملية بمعنى الغزو والفتوح هي الميدان الحقيقي لنشاط الارادة ، ومن هنا نستطيع ان نفسر الى حد كبير هذه السرعة الهائلة التي تمت بها الفتوح العربية ، فهي لا تفسر الا بهذه الارادة الجامحة القوية . اجل كان نشر الدين عاملاً مهماً من بين العوامل التي انتجت هذه السرعة ، ولكن نصيب الارادة العربية كان اكبر من نصيب الدعوة الدينية . فان عمراً بن العاص او خالداً بن الوليد هو الذي فتح ما فتح من ممالك ، لا عبد الله بن عمر وامثاله من المتدينين المؤمنين فحسب . كما ان الطريقة التي سار عليها هذا الفتح تدل على ما في هذه الارادة من عدم توجيه من ناحية العقل . لان غزو الممالك لم يأت عن خطة مرتبة نفذت اجزاؤها الواحد بعد الآخر بطريقة منطقية ، وانما اندفع الغزاة نحو الشرق والشمال والجنوب دفعة واحدة كالسيل الجارف .

ولو ان الحضارة الاسلامية تكونت من الجنس العربي وحده ، اذاً لامتازت فقط بهذه الميزات عن بقية شعوب الحضارة العربية العامة ، ولكنها جمعت بين شعوب اخرى غير الشعب العربي ، مما جعلها حضارة خصبة متنوعة ، تنوعاً لا يظهر الا بعرض مميزات هذه الشعوب الاخرى الجنسية وبيان اثر هذه المميزات في تكييف الحضارة الاسلامية تكيفاً خاصاً ، ولكني اظن ان هذا البيان ليس مجاله هذا المقال .

القاهرة عبد الرحمن بدوي

تطلب « الاديب » في مصر :
من مكتبة النهضة المصرية
٩ عدلي باشا في القاهرة

حماة ... مستعارة

بقلم رشاد المغربي دارغوث

لم تكن « جلنار » اسعد الزوجات وحسب . بل كانت افتن امرأة انبتتها المدينة في عصورها السود ايضاً . فقد زفت الى « رضوان » الوجيه الموسر ، بعد ان اشترى لقب (البكوية) بخمسين ليرة ذهبا ، وهو الوريث الوحيد لأسرته المنقرضة .

فقد كان رضوان بك « اخف » شاب « وانظف » رجل تحلم به فتاة ، اذ لا ام خلفه ولا اخوات ... فلا حماة ولا بنات حماة ... الا ان هذه المربية التي انتقلت مع البك في جهازه ؛ والتي تسعى لتوطيد سلطتها على زوجته ، بشتى الوسائل ومختلف الطرائق ، كانت تنغص على جلنار هناءة العيش ، ودعة الحياة ، ونعيم الزواج – وهي التي وهبها الله كل ما يحلم به رجل في انثى يتخذها رفيقة حياة .

وجه عذب فيه انوثة مغرية ، وفتنة جذابة حتى لتحسبه صنع نحات ، لولا ما يضطرم فيه من حيوية ، وما يجري في عروقه من دماء ، تستشفها جارية في الشرايين والاوردة . وعينان ازدرختيان – خضرة الربيع في صفرة الدينار – تتوقدان تحت حاجبين مدت بهما الفطرة الى جوار السالفين ، تحت جبين رحيب ينبسط صعداً ونزلا ، فيشرف على انف دقيق فيه شمم رائع وفيه قنى محبب .

ولئن كانت مقاييس الجمال تشكو في جلنار خللًا فقصرها النسبي ، وطول اذنيها العريضتين ايضاً . ولكنها كانت تستعيض عن ذلك النقص في جسدها بلسان حلو مشحوذ ، يمتد حتى يغمر كل شيء باحاديثه الناعمة ، وسمع مرهف يحفظ من العلم نتفاً ، ومن الدين تعاليم ، ومن الادب غرراً تتيح لها ان تتبوأ في المجتمع المقام اللائق ببنت الزعيم المعروف وزوجة الوجيه المحترم .

والحق ان جلنار كانت سيدة المجالس ، تعقدها النساء في منزلها او منازل اهلها وصديقاتها . وكانت أنس بيتها الذي لا ينقطع ولا يعكره ضباب . حتى زفت الى رضوان بك ، وقامت (خدوج) – المربية العجوز – حجابا صفيقاً بينها وبين الحرية التي تتوق اليها كل فتاة ، والاستقلال الداخلي الذي يكسب الزواج في عيني المرأة سحره الاخاذ .

ورضوان بك يبذل ما في وسع الرجل لارضاء زوجته الحسناء والاستزادة من عطفها وحبها . وهو وان كان لا يستقر في منزله الا ساعات من الليل ، وبعض دقائق من النهار ، لم يكن يفوته الشعور بما تنطوي عليه نفس جلنار من كآبة لم يجدها عندها في عهدها الاول ، وانقباض لم يصل الى علمه انه يأخذها او يصيبها . فقد حدثته (الخطابات) من قابلات وماشطات ولفايات ... حديث مرح تلك الفتاة ، وانبساط نفسها ، وانطلاق روحها ، بله ما وهبها الله من جمال قوام وفتنة وجه ، وطول شعر ، وسحر لون ، وعذب حديث ، وطيب فم ...

فما بال جلنار تنقلب بعد اسابيع الافراح الى امرأة ، كالتي عهدهن البك في شبابه الاول ، لا هم لها الا ازعاج من حولها بصخب لا ينقطع ، وشراسة لا تقف عند حد ، ولؤم يبلغ درجة الحقد ؟

وقد خطر للبك ان جلنار صارت الى مثل هذه الحالة او تكاد شوقاً الى غلام لم تحمل به في شهرها الاول . وهو الذي كان يستمع الى احاديث الناس وتساؤلهم عن السر في انقضاء الاسابيع على زواج (فلانة) دون ان تحمل ، او تصل الى اذنيه شماتة الجارات (بعلانة) التي انصرمت شهور على زفافها دون ان تعلق بجنين يشد اواصر الزواج ويحكم رباطه . فتقول واحدة هامسة في اذن اخرى :

– « قلت الك ! ما يحبها ... زوجوه اياها غصباً عنه ! »

وتعلق الثانية شامتة

— « انها عاقر ... ان احبها او لم يحبها ! »

وتقول اخرى متفاخرة :

— « اهي كل البطون مثل بعض يا ام علي ! انا خلفت تسعة بستة بطون ! والصبي العاشر ... على الطريق ! »

فيفاتح البك زوجته بالامر وهما في منجى من كل عين واذن الا عين خدوج وسمعها اللذين يتبعانهما ولو من ثقب قفل :

— « لا تحزني يا جلنار ... سيكون لك ما شئت من الاولاد ذكوراً واناثاً ... فابي خلف ستة صبيان وبنتين ! »

فتتضرج وجنتا المرأة خجلاً وتستر رأسها الصغير الاشقر بالوسادة الزرقاء ، وهي تتمتم بكلمات لم تشأ ان تعيدها على مسامع رضوان . فيسكت الرجل على مضض ، يحاول ان يؤلف من تلك الاصوات المتقطعة والهمسات الغامضة جملة مفيدة !

وجلنار تزداد نحولا فيشحب وجهها ويستطيل ، وتغيم في عينيها الدعجاوين شعلة كانت سرهما الاخاذ ، لا الكحل الذي لم تنقطع عن استعماله ، ولا البسمة التي تقابل بها زوجها وتودعه .

فلم يكن للبك مندوحة عن استدعاء الطبيب ... فالاطباء . ولم يكن من سبيل لشفاء جلنار في رأيهم الا بدخولها المستشفى . وكانت مآتم ... اقامها اهل جلنار وصديقاتها ، هنا وهناك ، يوم حملت في العربة الى تلك الدار التي يسميها الاطباء مصحاً ، ويدعوها الناس (مسلخاً) او قبراً .

فالمستشفيات ، قبل الحرب العالمية المنصرمة وبعدها بقليل ، صور قاتمة ، وجحيم يجد المرضى فيه الموت العاجل . فهم يفضلون ان يموتوا ببطء على فراشهم في دورهم ، وسط ذويهم ، على ان يلقوا بانفسهم بين ايدي اطباء وممرضات شغل حب المال قلوبهم عن كل رحمة ، واستأثرت النزعة الاستغلالية بنفوسهم دون شفقة .

ويذكر ذوو جلنار ما اصاب هذا وذاك وتلك وذلك وهاتيك وذياك اذ دخلوا ودخلن المستشفى الرهيب . وكيف ان فلاناً ... ضربوه ابرة ، فمات . وكيف ان علاناً شقوا بطنه ثم خاطوه نسوا فيه مقصاً طول شبر ... وأن فلانة خرجت من المستشفى عرجاء اذ كسرت ساقها بين يدي الآلة ، وهي تتململ ألماً وتصرخ وجعاً . وان علانة قد (تسمم) شعرها بعد ان قصوه فلم يعد يمتد حتى ساقيها .

ويعلو النواح والبكاء ، وجلنار في العربة قرب زوجها ، تودع ذويها ومن سارع الى تشييعها من الصديقات ، ببسمتها التي لا تفارق شفتيها الرقيقتين المضرجتين . حتى اذا سارت الخيل تنهب الارض تعالى صوت ابح ، تخنقه عبرة ضنت صاحبتها بها ان تهرق يقول :

— « الله معك يا رضوان وأدر بالك على جلنار ! »

فتلتفت المرأة لتودع خدوج بنظرة مقت وحقد وازدراء فتقع عيناها على عيني المربية العجوز ، وقد نديتا ، فتبتلان بدورهما بدمع غشاهما ، فخيل اليها ان السماء تبكي معها يوم الفراق . وشعرت جلنار كأن حجراً قد انزاح عن صدرها ، وان سائر الاحجار توشك ان تتساقط واحداً فواحداً . ورأسا الخيل يضربان الارض فيتعالى الغبار وينعقد خلف العربة ذيلاً طويلاً تجرره تيهاً وكبرياء . وسوط السائق يشق الفضاء بخطوط ودوائر ، فيسمع له انين يأتي (قراراً) لوقع الحوافر المنتظم ، وزعران الازقة يتراكضون ، فيخاون الطريق الضيق الملتوي ، ليعودوا فيتعلقوا بالعربة ، وهم في مرحهم الصاخب كجماعة من القرود في اعلى شجرة موز .

وظلت خدوج شهراً بكامله لم تذق في خلاله طعاماً غير الفاكهة التي لم ينقطع ورودها من بساتين البك ، تبكي تارة وتضحك طوراً ، دون ما سبب يدعوها الى ذاك او يحملها على هذا وهي تصنع من الحليب الوارد مع الفواكه والاثمار جبناً اخضر كالذي يحبه رضوان ، او زبدة طازجة كالتي تستسيغها جلنار .

فتقول لها زينب — اخت جلنار التي اقامت في بيت صهرها مدة غياب الزوجين :

— « يا خدوج ! كثرة الفاكهة تضر بك ! كلي شيئاً يمسك بطنك على الاقل ! »

فتأبى ان تتذوق من الطعام ما لم يذقه (الصبي) الحبيب الغائب او تأكل منه جلنار المسكينة .

وكان ما خشيته زينب . فعاد البك وزوجته في ختام الشهر لينصرفا الى معالجة العجوز التي اصيبت بزحير هد قواها ، وانحل جسدها . فباتت كعود التين في كانون ، لولا بقية من لحم هنا ، وشحم هناك ، تتراكم رخوة مطاطة ، فتزيد مظهرها ضعفاً ، وشيخوخة — وهي التي كانت لايام خلت تحتفظ بنشاط الشباب وقوة الفتوة ، على الرغم من الستين التي ادركتها سنة (الثلجة) الكبرى .

فقد ولدت خدوج في اوائل ايام ابراهيم باشا . ورأت ذلك القائد الكبير بعينيها يأكل على مائدة جد البك — الله يرحمه — فيلتهم صحن الكبة بالسرعة التي كانت خلقاً فيه ، وصفة لازمت اعماله الحربية والعمرانية .

لذلك نشأ رضوان يحترم هذه (المربية) التي ورثها ابوه عن جده كاثر من عز العيلة القديم ، وسجل يؤرخ مفاخرها ويروي مآتيها ، وبقية من السلف الصالح تحل بها البركة على البيت . وكان يجد في حديثها كلمات ابيه ، ويسمع في نبراتها صوته ، كما يرى في سحنتها العبوس ، وطبعها السوداوي معاني امه المرحومة ، في نزاعها المستمر مع حماتها وبنات حميها .

فلم يكن اشد عليه من علمه بما صارت اليه خدوج اثناء غيابه . فامر جلنار بان تمنع عنها كل فاكهة وثمرة تزيد ما هي فيه تفاقماً ... واستشار الطبيب ، فاقره على خطته . واعطاه علاجاً لها ، لم (يركبه) البك بعد ان فقد ثقته بادوية هؤلاء الاطباء ، وكاد يفقد ايمانه بطبهم وعلمهم .

ولئن غاظ ذلك خدوج ، وعدته تقصيراً في حقوقها من الذي تدعوه (صبيها) ، فقد سر جلنار ان تصبح (وصية) على من اتخذت لنفسها تلك الصفة منذ دخولها منزلها . فالمشمش محرم على خدوج لانه ملين .. والخوخ والاكي دنيا والدراق والبرتقال . وكل فاكهة ترد من البستان او يحملها البك من السوق . اما البطيخ فيفسد امعاء خدوج ويصيبها بالعفونة ، الاحمر منه والاصفر على حد سواء . والحليب يسبب لها مغصاً .. والجبنة سوء هضم والزبدة اسوأ عاقبة من الجبن لانها ... ثقيلة !

فاذا جاء الشتاء واشتاقت النفوس الى الحلويات والمعجنات ، منعت جلنار عن خدوج تلك المآكل الشهية ... لان امعاءها لا تتحمل هضمها ، وحكم (القطر) كحكم الفاكهة يسبب زحيراً واسهالا .

ورضوان بك مسرور بتلك (الوصاية) تحفظ حياة خدوج الى ابعد اجل ممكن . فيشكر لزوجته عنايتها بالعجوز ويستزيد من حرصها على سلامتها

— « انها البقية الباقية من ... اهلي يا جلنار ! »

فيغيظ بذلك زوجه من حيث لا يدري ، وتزيد جلنار خدوج .. عناية . والعجوز لا تنفك عن الشكوى ، ووصم جلنار بالبخل والشح . فيصم رضوان اذنيه ويطيب خاطر مربيته واعداً اياها بكل طيب ولذيذ .. متى شفيت تماماً :

— « ولكنني شفيت يا ابني ! من زمان .. »

فيضحك رضوان ويتلطف قائلاً :

— « اخاف ان يعود اليك .. وعودته اصعب يا ام الخداديج ! »

وتنقضي السنوات ، تعقبها سنوات اخرى ، وجلنار تنفذ وصية زوجها بحزم ، وخدوج تهاجم الزوجين دون هوادة . فقد بات رضوان عدوها رقم ٢ الذي تتمنى ان لا يعقب (ولا ولد) من عدوتها الاولى ، جلنار ... هذه العاقر ، البخيلة الشحيحة ، وسائر ما تحب ان تلصقه بها من تهم شنعاء .

ورضوان يحسب هذه العجوز النهمة الشرهة قد فقدت وعيها ، بعد ان ردت الى ارذل العمر ، فهي كالطفل لا تحكم عقلاً ولا تملك ارادة :

— أكلت اليوم صحن جميز هالقدر يا بك ! وبدها بعد ! الجميز ثقيل ويضرها ...

— معك حق يا جلنار ! دعيها وشأنها ؟ ماذا يهمك من اقوالها ؟

— انا لا اطيق ان تشتمني هذه العجوز كلما مررت بقربها او سمعت صوتي في البيت ، على مسامع الاهل والاغراب ...

والواقع ان خدوج التي تلازم فراشها او نارجيلتها وكانونها لم يعد لها شغل يشغلها سوى الدعاء على جلنار وسبابها وشتمها ، سواء كانت وحدها او بين الناس :

— الله يحرمك الطيبات ... والبنين !

— الله يجازيك (ويصطفل) فيك !

— الحمى تشويك !

— العمى يطرقك !

وجلنار صابرة صبر المرأة تصل الى اهدافها بهدوء ، وتحقق اغراضها بسكون . حتى كان يوم سمعت فيه اختها الكبرى تردد بعض هذه الحكم التي يستشهد بها الناس في احاديثهم العادية ويبنون عليها سلوكهم :

— قال بدك تبهدل رجال سلط عليه امرأة . وبدك تبهدل امرأة سلط عليها ولد !

فاعتزمت جلنار امراً . وكان بجوار منزل البك صياد يتساءل كل يوم ، واولاده يلتهمون اكثر ما يصطاده ، اهم اوفر عدداً ام سمك البحر . فاخذت جلنار تتحبب الى احدهم — مبروك الذي يحمل اليها ما يوصي عليه البك من سمكات ابيه الطازجة —

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

وتكرمه وتستبقيه ساعات طويلة في منزلها :

— بحياتك يامبروك املأ لي هذه الجرة من البركة وخذ هذه البرتقالة !

— يا مبروك ابق تغدى عندنا !

ومبروك يجد في الثواني ، يقضيها في منزل البك ، نعيا لم يكن يلقاه في سنته بطولها ، بين عصا ابيه وقبقاب امه . وهذه الكلمات اللطيفة التي لم تتعود سماعها اذناه ، وهذه الحلويات اللذيذة التي لم يذق لها مثيلاً ، وهذه الفواكه الشهية ... التي تخصه بها زوجة البك وتغمر سمعه ، وفمه ، وبطنه ؟

وكان من الطبيعي ان يصبح مبروك عدو خدوج رقم ٣ . وان ينشب بينهما خلاف كالذي بين ... الكلب والهرة لا دواء له

وتصبح خدوج يوماً فتحاول ان تقوم من فراشها ، فاذا هي قد ... سمرت فيه . او تقوم لحاجة فينكشف النقاب عن رأسها ، وقد ربط بدبوس الى الفراش . او تجلس الى كانونها تتدفأ ، فتنفقع بين يديها باوطة ، تملأ شظاياها اثوابها ، وتحرق وجهها ويديها (بصات) النار وشراراتها . او تسحب سحبة من ناربيجها ، فاذا التنباك قد افسد طعمه ورائحته ... شيء دسته فيه يد شيطان .

وفي يوم آخر بلغ بمبروك الامر حداً افقد خدوج ما تبقى لها من عقل ونطق وبصر : دخلت المسكينة الى غرفتها المظلمة تتلمس فراشها وموضعه . واذا بقرد ينتصب في وجهها ، زاعقاً كالعفاريت ، على ظهره ستائر وجلود تراكمت بشكل غريب ، وعلى رأسه عمامة قدر (الصدر) ، وهو يصرخ :

— فسنستنبك تكنف تكموها ... وقليل من الرجال لا يعرفوها !

عندئذ عادت الى عيني جلنار شعلتها المتوقدة ، وارتاحت اذناها من السباب والشتائم . ولكنها لم تنعم بغلام يسد في نفسها ذلك الفراغ الذي لم يكن نعيم الحياة ودعة العيش وصفاء الجو ، ليذهلها عنه . فظلت زبونة للاطباء ... ينعمون بمالها ، ويلعبون بعقلها ... حتى قضي الامر ، ومات « البك » بسكتة قلبية .

وقد شوهدت خدوج ، ليلة الوفاة ، (تحني) ... يديها ، وهي تحاول ان تذرف على (صبيها) الراحل دموع الام ، فتخونها عينان تحجر فيهما كل شيء ، حتى البصر !

رشاد المغربي دارغوث

البلبل الصديق !

انا وانت ايها البلبل .

وحيدان في هذه الساحة الضيقة .

انت تقرأ بحزن لتحيط حياتك بشيء من البهجة المرة

واجلس انا اقتل الصمت بصمت .

لم يبق هناك صديق ولا حبيب .

فهل اثق بصداقتك ايها البلبل ...

واظل ارنو اليك وانت في قفصك الصغير تضطرب في سبيل الحرية والفضاء ...

● لم يبق هناك صديق ولا حبيب .

الصمت وحده الذي يشمل هذا البهو الرهيب .

فاذا جاء الظلام وهدأت الدنيا ... لن توقد الاضواء في تلك الغرفة التي كانت تنتظر البسمات والقبلات فارفع صوتك بالغناء فانت اسعد مني ...

ان صوتي اجش خائب ايها البلبل .

ليس فيه رواء ولا حماس ..

ولكن لدي شيء آخر اكثر تعزية وسلوى .

لدي دموع حارة تنبثق من اعماق صدر مكروب .

فليكن شدوك عظيما كدموعي .

ولتكن الحانك دافئة معزية كهذه العبرات التي يوجهها الله في ساعات الهم والاحزان .

● احبك ايها البلبل .

ولكني لا اريد ان يكون حبي سبب اسرك وشقائك فهما قريب ايضاً ... سأفتح قفصك على مصراعيه وانحني لك ، وداعاً

لقد كتب الله علي — الوحدة — فلتكن هذه الوحدة صديقي وسميري والهامي ..

سيكون لك الجو ... وستجد قفصك مفتوح الدفتين فان شئت عد ثانية . او فاذهب كما ذهبت ولا تلتفت الى الوراء .

الغرفة المقفلة المسدلة النوافذ هي جميع تذكاراتها . وهذا القفص الخاوي هو جميع ما يبقى لي من صداقة طويلة معك .

ما هي الحرية ايها البلبل الصديق فاذهب يا وليد الفضاء الى الفضاء

اما انا فامكث فوق الارض لاني من ابناء التراب .

بغداد عبد المجيد لطفي

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

البرق

☆

خفق القلب له لما خفقْ   بارق شبّ الجوى حين ائتلقْ
ويح جفني كلما لاح له   فاض بالدمع وأعيي بالأرق
ومضُه غازل دمعي فجرى   لطفَ الاولُ والآخرُ رق
رقّ حتى زاغ عنه بصري   من رأى ذات جناح تحترق
عاد لي روعة موسى شاخصاً   حينما آنس ناراً في الغسق
قلت لما راعني ايماضُه   كان موسى شاعراً لما صعق

•

شمته لما تبدى شرراً   ثم ما عتّم اطار شُقق
فاذا بي وهو يستشري ارى   لجة من لهب اذ تصطفق
لست ادري أهو سيف منتضى   حينما أومض أم سهم مرق ؟
أمطر الظلماء نبلًا بعدما   قد رماها مستديراً بوهق
وسرت في السحب منه شعلٌ   سريان النار في ثوب خلق

•

هو للشاعر في جوف الدجى   سورة اوحى بها رب الفلق
عَلمُ الله تعالى جدهّ   لاح خفاقاً على كل افق
حبّب الظلماء لي حين أضا   هكذا تسحن بالنور الحدق
خلته من بين اسداف الدجى   املًا من بعد يأس قد برق

دمشق   خليل مردم بك

اثر الفن في حياة الامة

بقلم مصطفى فروخ

لا ادري اية قوة خفية ، بعد ان اتزويت من طريق العالم اسكن الى لوحاتي هادئاً مطمئناً ، ارسلت اليّ شاباً طلق الوجه يحمل في عينيه نور الامل وفي صدره شعاع الايمان . فأخرجني من عزلتي بكلماته المؤثرة وبلهجة كلها الثقة والعزم قائلاً : إنا الاستاذ ، نحن على عتبة عهد جديد نريد وثبة نحو الحياة والعمل المنتج والبحث عن الحقيقة ، ونحن نؤمن ان النهضة لا تكون كاملة بغير الفن .

فاعجبني هذا التفكير الحديث والادراك العميق والوعي الذي يحمل في ثناياه نوراً جديداً لم نعرف مثله في تاريخنا الحديث. لذلك نزلت كلماته من نفسي منزلاً حسناً تاركة الاثر الطيب ، فاستبشرت خيراً وعدت الى قلمي انفض عنه غبار الهجر وكتبت هذه الكلمات لعلي استطيع ان اقوم ببعض ما يتحتم على كل منا عمله في مثل هذا العهد .

الفن ! هذا العنصر الشارد الغريب ، هذا الشهيد المجهول ، بل هذا الذي دعته الاساطير بالملاك الذي سخطت عليه الآلهة فهوت به من عليائه الى الارض فكان شر انتقام .

غريب وهو بيننا بل يعيش منا في الصميم ولا نحسه !

كلا ، إن الفن ليس هو بالملاك ولا بالطيف السابح ولا بالخيال الشارد ، ان الفن هو نحن اولاء الذين نعيش على هذه الغبراء نحس ونسمع ونرى . والفن هو مرآة لما نحسه ونسمعه ونراه في كل ثانية من حياتنا وكل لحظة من وجودنا . وهو من حياتنا كالساعة في تسجيل الزمن .

وبعد اليس الفن هو من سجل التاريخ وخلد الحضارات لحمل الانسان في مطاوي الاجيال من مهاد الوحشة الى مراقي المدنيات ؟

اليس هو المقياس الصحيح لرقي الامم ؟ وبه تنتهي اسمى المزايا الانسانية في تفكيرها المبدع وعنصرها النبيل ؟

قال العلامه كيو : ان الآثار الفنية تعتبر من الكماليات في الجماعات البشرية المتأخرة في مراتب الحياة الاجتماعية ، بينما هي من ضروريات الحياة الاساسية في الجمعيات الانسانية الراقية التي تطلب من الحياة اكثر من الطعام والشراب .

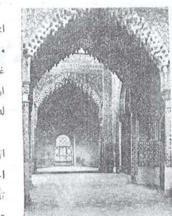
ولذلك قيل ان الانسان يتميز عن الحيوان بالامور السامية وليس بالامور الضرورية لان هذا شيء يشترك به الانسان واحقر الحيوان ، وهل علمنا ان للحيوان مدنية ؟ وقد قال العرب قديماً ان الفنون لبعض الناس غذاء وللبعض دواء . والفن اذا ما انعمنا به النظر نجد انه يجلب السعادة للمجتمع بما يرقي من الذوق ويحبب من الحياة اذ يسربلها بثوب من الجمال يجعل كل ما فيها رائعاً محبوباً جميلاً . وهو الى ذلك يلطف من طباع البشر ويرهف احساسهم فتضاءل من نفوسهم النزعات البهيمية وتقوى فيها المزايا الانسانية السامية وتنشط فيه روح الخير فتسود المحبة وينتشر السلام وهذه هي السعادة الحقة .

ويلذ لي ان اردد الان كلمة لاحد الحكماء اذ يقول : « ان معرفة الجمال تحبب الحياة وحب الحياة يدفع للعمل فالانتاج .»

واری انه لا يمكن لمجتمع يريد الحياة ويريد ان يرقى سلم الحضارة ويعمل عملاً عظيماً اذا هو لم يساير هذه السنة ويدرج على هذا النظام الاجتماعي ، فالاخذ باسباب الفن حافز للتقدم والسمو . فالفن يرسم لنا مثلاً علياً ويفتح آفاقاً واسعة جذابة تستهوينا لاقتفاء اثرها وتتبع خطاها .

ومعلوم ان كل امر بدأ خيالاً ثم انتهى الى حقيقة مادية ماثلة للعيان فالمهندس يتخيل البناء اولاً ثم يرسم التصميم ومن ثم يصبح بين يدي البناء كياناً مادياً شاخاً . لذلك نرى ان الفن يحتل في وثبات الامم الناشئة مكاناً خطيراً لانه يرسم لها مثلها واهدافها فيهيء الروح والفكر ويعد النفوس ويشق الطريق للنهضة الفكرية التي هي الدعامة الاساسية في بناء الامم لانها تخلق شخصيتها والشخصية هي التي تفرض وجودها على المجتمع فرضاً .

وبعد لننظر للقضية على ضوء الفكر ونقول ، اذا لم يرهف الحس ويصقل الشعور ويوقظ الفكر في الامة فكيف يمكن ان تكون نهضتها ؟



غرفة العدل في قصر الحمراء

لا ريب عندي في انها ستكون نهضة موقتة عمياء تسير على غير هدى ثم لا تلبث ان تتداعى وتنهار لدى اول صدمة .

وقد اقتنعت الامم الراقية بهذه الحقيقة الراهنة ولمست تأثيرها الطيب في تهيئة المجتمع الرقي الثقافي فجعلت الحكومات لها وزارة ، واكنها فعلية ، فانشأت متاحف فخمة عرضت فيها لوحات تمثل امجادها حتى تكون حافزاً لاثارة روح العزة القومية بشتى الطرق ومنها طريق العين لتلهب النفوس وتهز الاعصاب فتحيا الامة وتعيش .

ويحسن بنا في هذا الموقف وقد بينا اهمية الفنون في بعث الامم ، ان نشير الى تاريخنا التالد ونقلب صفحاته فنقرأ فيها سطوراً نيرة تشع بوضاءة المجد وروعة العبقرية . لقد سبقت النهضة العربية نهضة فكرية خفية ، كانت تتمخض بها تلك الاسواق السنوية التي كانت تقام في عكاظ حيث كان يتبارى فيها النوابغ من شعراء وحكماء تبذر بذور الفكر وتهيء الروح العربي للوعي ثم الوثوب والحياة .

وحينما شعت النهضة المباركة وسارت سيرها المعروف تزخر بروح جبارة وايمان عجيب ، تفتحت بعد حين عن بعث ثقافي خصب سواء في الادب والموسيقى والفن من هندسة ونقش ورسم فابدعت ما شاءت لها عبقريتها الفنية وحسها الطري الناصع .

ومن يطلع على بعض آثارها المنتشرة في متاحف الغرب لابد له ان يعجب بما خلفته من آثار فنية بكر هي مفخرة من مفاخر الابداع الانساني في دنيا التفكير والخلق . واني لاازال اذكر يوم وقفت واستاذي في جامعة الفنون وهو من المشهود لهم بالمقدرة ، عندما مثل امام بعض آثار الفن العربي في متحف اللوفر بباريس اذ قال بلهجة كلها الاعجاب والدهشة :

« ما كنت لاعتقد ياصاحبي قبل الان ان العرب بلغوا في الفن وفهم الطبيعة الى هـذا الحد الذي لم نبلغه نحن الا بعد مضي اجيال ! . . . »

ان فناني العرب إنهم وقفوا امام بعض نواحي الفن وقفة تحفظ لاسباب لا يمكن الفصل فيها الان لانها لا تزال رهن البحث والتحري الاثري الذي يلقي نوراً على بعضها بعد الفينة الفينة انما هم على كل حال قد ساروا اشواطاً بعيدة في نواح اخر من رسم ونقش وتزيين نباتي وتخطيط هندسي متشابك متعانق متقاطع فيه غرابة ودهشة وفيه نوع من السحر يستولي على الناظر شأن المنجم الذي يستولي على ناظريه بطلاسمه العجيبة . فالعرب ابتكروا نوعاً جديداً من الفن عرف باسمهم Arabesque لانه من انتاج عبقريتهم ووليد حضارتهم .

ان العربي الاول لم يكتف باكاليل الغار التي نالها بحد سيفه وقوة عضله ولم يقنع باستيلائه على الممالك الواسعة وما حازه من ثروات طائلة ومكن له من صولة وسلطان شأن الامم الغازية ، بل ، منذ ان انتهى به المسير على اطراف صحرائه ليرتاح من انتصاراته على الوثنية — ثارت في نفسه النبيلة معالم العبقرية والمدنية الكامنة في قرارة نفسه . عندئذ نقل مشعل الثقافة ليمينه وسيفه الى يساره ثم تقدم الى العالم مثقفاً ومبشراً لا غازياً ولا مجتاحاً فهو يحمل رسالة سامية ونوراً وضاء وحكمة خيرة وامراً جليلاً .

ولذلك نفذت فكرته وخفقت رايته في العالم وشمت منها حضارة نيرة عمت خيراتها العالم وستظل كذلك ما دام هناك اثار قائمة تقول :

هذه اثارنا تدل علينا فانظروا بعدنا الى الآثار

ان العربي في جاهليته الاولى كان يضرع الى آلهته وارباه كي تهب قبيلته شاعراً عبقرياً ينشد مآثرها ويتغنى بامجادها لتفخر به على القبائل الاخرى . والوثنيون كانوا يتقدمون اليها بالقرابين والنذور لترزقهم فناناً نابغاً ينحت لهم من الصخر الاصم تمثالاً رائعاً للجمال كزهراء ، فينوس وابولو ذلك الجمال الذي تتعشقه نفوسهم ويحلم به خيالهم التائه وشعورهم الحائر . و كانت القبيلة المحرومة من عبقري يعبر عن عواطفها تعتبر ان نقمة الآلهة قد حلت بها لحرمتها لسانها الناطق وبلبلها الغريد وترجمانها الذي يحمل تراثها الى الاجيال ويمثل شخصيتها وكراماتها الى الاحياء .

فمن يستطيع ان ينشدنا هذه القصيدة الرائعة قصيدة المجد والكرامة غير ارباب الفنون ؟ فالامة خرساء لا غنى لها عن لسان يعبر عن رغباتها واماناتها ويصور امجادها ويلهج بمفاخرها ويمثل عزتها ويحمل للاحفاد ما بناه الجدود .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

فالامة المتطلعة الى الحياة بحاجة الى لسان عذب فصيح ويراعة جبارة وريشة ناعمة نافذة وادب قوي مؤثر وموسيقى حية تنفخ فينا روح المجد فنهرول اليه باسمين فهي بغير الفنون امة خرساء بلهاء تومىء عن رغباتها بحركات بليدة تجعلها مهزلة بين الناس بينما هي تحمل ذهبها ونقودها الجافة كنفسها تبحث عن مثلها العليا فلا تجد وتنادي فلا يسمع لها احد .

وهذه الحوادث تترى امامنا كل يوم فاننا نرى كيف ان الامم ذات الثروة الفنية عندما تنزل بها نازلة وتصيبها محنة او كارثة وطنية كيف تبادر الامم الاخرى الى معونتها وشد ازرها فتعطف على قضيتها وتذود عنها بكل حمية وايمان وشواهد التاريخ على ذلك كثيرة منها الامة الاغريقية التي نالت استقلالها بمعونة الدول المعجبة بفنون الاغريق الرائعة التي كل قطعة منها خطاب فصيح لا يكل ولا يمل مع الايام وليس ادل على ذلك من تطوع كبار الادباء ورجالات الفكر في صفوف ابنائها المجاهدين امثال بايرون الشاعر الانكليزي الفذ حيث قضى شهيد تأثير الفن على نفسه الشاعرة المرهفة . وما ذلك الا من تأثير الفنون التي هي رابطة روحية متينة وفيها سحر غريب يفرض سلطانها ومحبتها واحترامها على الاخرين ولان فيها قوة عجيبة تعود بالانسان الى انسانيته الصافية مجتازة به مناطق العفن والصغائر التي يسكنها عباد المادة الملتصقة جباههم في الارض . اجل تجتاز بالانسان الى جو الاول النقي الطاهر فتربط الانسان باخيه الانسان .

وها نحن نقرأ في لوحة تذكارية على احد جدران قصر الحمراء اسم الاديب الاميركي المعروف واشنطن ارفنغ الذي زار الحمراء وشاهد ما آلت اليه حالة هذا الاثر الفني العظيم من الاندثار والتصدع فدفعه روح الفن على ترك وطنه واقام يرمم القصر العربي باذلاً في سبيل ذلك وقته وثروته وما ملكت يداه لان الفن الراقي لا يعرف جنساً ولا حدوداً ولا تقف دونه العقائد والحزبيات .

ولذلك فان الفنون تلعب دوراً عظيماً في حقل التعاون الفكري بين الامم الراقية وقد قال النقادة الفرنسي المعروف ايلي فور : « ان الفن داعية الى التفاهم القومي والانساني وهو رابطة عظيمة بين الامم . »

وهذا بديهي لان الفنون دعوة روحية غايتها السمو بالمرء الى التفكير بالمثل العليا حيث تتوحد الاهداف الانسانية في جو بعيد عن النزعات البهيمية والانانية وهذه لا تتفق والمثل العليا . ولهذا نجد اسباب هذا العطف والتماسك اللتين بين ارباب الفكر العالي فإذا ما اضطهد عالم او مفكر في قارة ما تعالت لنصرته وتأييده اصوات من قارة اخرى .



جانب من ساحة الاسود في قصر الحمراء

ولا بأس من عرض منظر شاهدته في قصر الحمراء ففيه الشرح الكافي لما بحثته آنفاً . حينما كنت ازور مقاصير الحمراء شاهدت رجلين لهما سيماء اهل شمال اوربا جلسا يتأملان شاخصين في هذه الغرفة وبأيديهما كتب مغلقة ، تركتهما ورحت اطوف في بقية الحجرات ثم عدت الى الغرفة حيث كانا يتأملان بعدان تركتهما ما يقارب الساعتين فإذا بالرجلين لا يزالان في مكانهما بابصار شاخصة لم يغيرا وضعهما الاول فخيل الي انهما صنمان وقد نسيا الكتب التي في ايديهما فسقطت على الارض .

اني اسفت حقاً لاني نسيت ان آخذ لهما رسماً على تلك الحالة فاربما كانت كفيت نفسي مؤونة الوصف ومثلت تأثير الفن على الناس .

والان نحن نعلم ان الحضارة العربية ابدعت فناً هو نسيج وحده ، ذلك الفن الذي يستطيع ان يحدثنا عن امة جاهدت وبنت وأبدعت ولكن اجمل ما بقي منه لليوم هي اثار الاندلس تلك الاثار العجيبة التي لحسن حظنا افلتت من يد الدهر وانشدنا فيها الخليفة الاموي عبد الرحمن ابياته :

هم الملوك اذا ارادوا ذكرهم ... من بعدهم فبألسن العمران
او ما ترى الهرمين قد بقيا وكم ... ملك محاه حوادث الازمان
ان البناء اذا تقادم عهده ... اضحى يدل على عظيم الشان

ولنقرأ ايضاً هذه الابيات المنقوشة على جدران الحمراء تغزلا بجمال هذا القصر :

وكأنه من درة شفافة ... تغشى العيون بشدة اللمعان
لا يرتقي الراقي الى شرفاته ... الا بمعراج من اللحظان
عرج بارض الناصرية كي ترى ... شرف المكان وقدرة الامكان
في جنة غناء فردوسية ... محفوفة بالروح والريحان
كم شاخص فيه يطيل تعجباً ... من دوحة نبتت من العقبان
رقص الطيور الخاشعات بلاغة ... وفصاحة من منطق وبيان

فاذا اتيح لها الكلامُ تكلمت بخرير ماء دائم الهملان
وكأن صانعها استبد بصنعها فخر الجمادُ بها على الحيوان
فسماؤه في سمكها علوية وقبابهُ فلكية البنيان

فلنعرج على هذا الاكروبول العربي ونتأمل هذه الروائع التي سحرت اديب فرنسا الكبير كلود فارير فهتف عالياً : « انني اعرف كثيراً من الناس لم ترقهم نابولي واثينا وروما ولكن لا اعرف واحداً لم تجذبه غرناطة وغرناطة هي الحمراء ذات السحر والفتنة » والان لندخل هذا الفردوس مهبط الوحي والفتنة ولنجس خلال قصوره الحالمة ومعالمه الساحرة التي تعج باروع الفنون فإذا ما مثلنا امامها تحققنا ان علينا ديناً عظيماً يجب اداؤه الى السلف لايمكن ان نوفيه الابالدرس الرصين والعمل المتواصل .

وكم كنت اود لو يقيض لنا الله قوة خفية تحملنا على اجنحتها تطوف بنـا تلك المعالم الساحرة لتبعث فينا قوة وتثير ذكريات غضة من المجد والعزة القومية لانه لا شيء يستنهض الهمم ويذكيها كآثار السلف المبدع .

ان وقفة بين اعمدة مسجد قرطبة الجامع ومحرابه الرائع وبين مفاتن قصر الزهراء في اشبيلية وعجائب فنون الحمراء في بقاع غرناطة هذا القصر الساحر الذي يجرح بعظمته كبرياء الفنـاء وينتزع اعجاب الجاحدين فينحنوا مكبرين جلال العبقرية وروعة الفكر هذا القصر الذي يتحدى الدهر بآثاره الساحرة مـا بين غرفة الاختين وآل سراج ودار السفراء والعدل وساحة الاسود وبركتها والى ما هنالك من معجزات فنية تغمرنا بموسيقى تنشدها الوان الفسيفساء وبريق القيشاني والذهب على الجدران تحمل في حواشيها الربيع وازهاره ونضرة الوانه ثم يتدلى علينا المقرنص من السقوف العاجية بخطوطه المتداخلة بدقة تنظيمها وحسن تركيبها فتحير الالباب ثم تتهادى امامنـا زرافات الاعمدة بقاماتها الرشيقة فوقها قباب انيقة طليت بالقيشاني الوهاج تجسم تحتها فوارات تقذف المـاء باشكال هندسية آية في الجمال والبهاء والى ما هناك من دنيا الشعر والفتنة تبعث في المرء نشوة غريبة توحي اليه تلك الحقيقة الازليه التي سارت عليها كل امة انشأت حضارة وخلقت مدنية من روحها ومن عبقريتها فهي رمز اعراسها ومآسيها ، آلامها وآمالها ، محبتها وكراهيتها وكل ما يجول في نفسهـا الحساسة من شتى المشاعر ومختلف العواطف ، فاخرجت فناً وعلماً وادباً تجلت بحضارة نيرة وهاجه اضاءت العالم على كر الاجيال .

والتاريخ يقول لنا من خلال آثار العباقرة الماثلة امامنا ان الفنون لها خطورتها في حياة الامم وانبعاثها فهي التي توقظ فيهـا الوعي القومي وتثير ذكريات المجد وتفتح عيونهـا على النور لترى مثلها العليا فتنهض متشحة ثوب الامل والحب والايمـان . فالحب والامل والايمان اقانيم لا تحملها غير النفوس الحية ولا تسكن سوى القلوب النابضة .

القصر في اشبيلية

فنحن وقد استعرضنا الآن تراثاً كريماً وارثاً جباراً وتاريخاً ضخماً تراثاً خيراً يد وراءه وشاحاً انيقاً من الفخامة والفن والعزة ، ناشراً في العالم انفاساً طيبة الشذى عذبة النغم اذا ما هبت عليه ذكريات المجد التالد والاحاديث المليئه بالمآثر الطيبة والشمائل الحلوة فتنثره على الدنيـا سماحة وشجاعة ونبـلاً .

فهلا لنا اذا ما ذكرنا هذا كله ان نعود اليه نعب منه جرعة ننتشي بها فننظم قصيدة رائعة كالتي غناها الاجداد من قبل كلها الانفة والشمم وكلها العلم والادب والبحث والفن؟ قصيدة راقية المعاني مذهبة الحواشي لا تزال ترن في اذن الدهر ويرددها العالم كلما احس في نفسه ظمأ الى الروح والابداع وحنيناً للشعر والخير والجمال .

مصطفى فروخ

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

العقلية العلمية عنـــد العرب

بقلم ابراهيم عبد العال

رئيس قسم الابحاث المائية في مصلحة المياه في الجمهورية اللبنانية
واستاذ الرياضيات في كلية المقاصد الاسلامية

●



الحديث عن العلم من أشق الموضوعات علاجاً واكثرها جفافاً وعلى هذا فاني لن اذكر شيئاً عن العلم ونظرياته ولكني سأحاول بيان أثره في تقدم الامم وحضارتها ضارباً لذلك مثلا بما افادت الامة العربية من هذه العلوم وما كان لها من أثر في رقيها وكيف عاد ذلك على العالم بأجل الفوائد لعلنا نرى في ذلك حافزاً للاخذ بأسباب نهضة علمية جديدة أسوة بأولئك العرب الذين كانوا حملة مشعل النهضة العلمية ورواد الحضارة للشعوب .

فاذا ما ذكرنا النهضة الحديثة وفضل العلم في انبعاثها فيجب أن لا ننسى أن العرب هم واضعو أساس كثير من هذه العلوم.

ففي فجر التمدن الاسلامي امتازت العقلية العربية بظاهرة عجيبة هي العقلية العلمية (Esprit scientifique) التي هي مفخرة رواد البحث العلمي الحديث . فالعقلية العلمية عمادها دقة النظر وصدق التحري والتعمق في البحث على أساس منظم ومنهاج مرسوم لا يخضع للاوهام ولا يخدع بالظواهر ولا يقبل الا ما كان منها معتمداً على الحجة مدعماً بالبراهين المادية .

ولقد انصرفت عناية مؤرخي تطور الفكر العربي الى الناحية الادبية فوفوها حقها من البحث حتى جرى على كل لسان أن العرب هم أهل اللسن والفصاحة وانهم ارباب البيان. ولم يلتفت المؤرخون الى عنايتهم بالعلم واشتغالهم به الا التفاتة خاطفة لا حظ لها من كبير عناية او تمحيص . ولقد يدخل في روع الكثير ان حظهم من الثقافة العلمية وانتاجهم الفكري لا يستحق ان نهتم له أو يشاد بذكره ، مع انه جدير بالتسجيل حقيق بالدراسة فهو مفخرة للعربي وفي ضوء ابحاثهم العلمية واكتشافاتهم القيمة اهتدى الغرب واستقى من معين هذه الثقافة التي لم تنضب إلا بعد ان ذوى عصر حضارتهم وغربت شمس عزهم كأمة عظيمة متماسكة.

فالى جانب الآثار الادبية القيمة التي هي من وحي خيالهم الخصيب وحسهم المرهف نرى أبحاثاً علمية ايجابية هي ثمرة ابتكارهم كانت موضع اهتمام الخلفاء ورعايتهم فدعموها بالمعونة المادية الطائلة ومنحوها الاموال بسخاء لتشجيع العلماء وتمكينهم من متابعة ابحاثهم العلمية والعمل على ابراز ثمرات أفكارهم الى حيز الوجود اداء لحق العلم الخالص.

لو نظرنا الى العالم العربي الآن لتعذر علينا ان نتصور كيف كان عاملا اساسياً لازدهار المدنية في القديم وقد يلزمنا بذل جهود صادقة نستشف من ورائها حقائق تاريخية مطوية في بطون الكتب جدير بنا ان نكشف عنها فنسجل لهؤلاء السابقين اعمالهم المجيدة وفنهم الرائع وابحاثهم العلمية الامينة .

لقد نال ازدهار الشعر والتآليف الخيالية شهرة عالمية حتى ان كتاب الف ليلة وليلة نقل الى جميع لغات العالم المتمدن .

وحمل الينا التاريخ عبير شهرزاد وتذوقنا مسايرة لاهل الغرب سحر الشرق والجو الشرقي واحلامه . وكأنها نهاية ما وصلت اليه المدنية الشرقية من الرقي حتى ليصعب علينا الآن تصور ان العربي كان ابدا مفكراً .

على ان الحقيقة عكس ذلك تماماً فان كان للمدنية العربية من ابتكار ففي عالم الابحاث العلمية وان كان لها من فضل فبوضعها الاسس التي مهدت السبيل امام علماء الغرب الى اكتشافات هامة في شتى نواحي العلم غيرت وجه العالم وافادت الانسانية اجل فائدة .

ونظرة سريعة الى نشاطهم الفكري وانتاجهم العقلي تصور لنا اوضح تصوير المكانة العليا التي تبوأها العربي في ذلك العهد بما خلف لنا من علوم عديدة نعرض لبعضها لنبين ما كان لكل منها من اثر عالمي .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

اما علم الرياضيات فيقول ابن خلدون ان العرب لمّا اخذوا الحضارة بالحظ الذي لم يكن لغيرهم من الامم وتفننوا في الصنائع والعلوم وتشوقوا الى الاطلاع على هذه العلوم الحكيمة ... بما تسمو اليه افكار الانسان فيهـا بعث ابو جعفر المنصور الى ملك الروم ان يبعث اليه بكتب التعاليم فبعث اليه بكتاب (اقليد) وبعض كتب الطبيعيات فقرأها المسلمون واطلعوا على ما فيهـا وازدادوا حرصاً على الظفر بما بقي منها) وكذلك فعل المأمون في النقل والترجمة (فعكف عليه النظار من اهل الاسلام وحذقوا في فنونها وانتهت الى الغاية انظارهم فيها وخالفوا كثيراً من آراء المعلم الاول لوقوف الشهرة عنده ودونوا في ذلك الدواوين واربوا على من تقدمهم في هذه العلوم).

ويذهب Gautier في كتابه اخلاق المسلمين وعاداتهم moeurs et coutumes des musulmans الى ان العرب اذا كانوا قد تتلمذوا لاقليدس فما زاد هو على ان يكون نقطة البدء اما هم فقد تفوقوا عليه بكثير ولسنا نذكر اختراعهم لعلم الجبر مما جعل الخوارزمي يوفق الى حل معادلات من الدرجة الثانية كما نفعله نحن الآن وجعل عمر الخيام يحل معـادلات الدرجة الثالثة والرابعة . واستطاعوا ان يستخدموا اساليب الجبر لحل العمليـات الهندسية وكذلك العكس فكانوا سباقين في هذا المضمار على ديكارت واضع اصول الهندسة التحليلية .

ومن ابتكارهم في علم المثلثات استعمال الجيوب بدل الاوتار ووضعهم المماس وتمامه والقاطع وتمامه والمعادلات التي تربطها وكانوا اول من وضع جداولها وقد كانت الترجمة الـلاتينية في القرن السادس عشر لكتاب الخوارزمي في الجبر على بساطته هي المصدر الوحيد لتعليم الجبر في (اوروبا)

ولا مجال للشك في ان العرب كانوا اساتذة الرياضيات لعصر النهضة على الرغم مـن الشهـرة العظيمة التي كان يتمتع بهـا (اوكليدس) .

وقد نتج عن حذقهم للرياضيات براعتهم في علم الفلك التي كان لها اثر عميق في القضاء على صناعة التنجيم المبنية على الاوهام واصبحت دراسة الاجرام السماوية وحركاتها تعتمد على حقائق اساسها المشاهدة والرصد والاختبار . فكانت المراصد الفلكية في بغداد ودمشق والقاهرة من اهم العوامل على تقدم علم الفلك بفضل الاعانات المالية الكبيرة التي كانت تمنح لها لتساير نشاط الحركة العلمية وتؤدي مطالبها . وقد لمع بين الفلكيين العرب البوزجاني، البيروني، البتاني، الصوفي، وغيرهم كما خلف لنا مرصد بغداد مجموعة لا تحصى من الارصاد الفلكية وقد استمرت متصلة مدة قرنين كاملين — الامر الذي له قيمة هامة في العلوم التي تعتمد على الملاحظة .

فما جاء القرن العاشر حتى كانت مدرسة بغداد قد بلغت الدرجة القصوى من المعارف التي كان بالامكـان الوصول اليهـا من غير استعانة بالمنظار او التلسكوب

وبذلك نرى كيف ازدهر علم الفلك على يد هؤلاء العلماء الذين وهبوا انفسهم للبحث الخالص وقضوا حياتهم في رصد الكواكب وحساب حركاتها. فهل جال بخاطر احدهم انه انمـا يمهد السبيل لاكتشافات هامة ذات نتائج لا تقدر على يد علماء من الغرب امثال كوبرنيك وكيبلر ثم نيوتن .

يقول Gautier ان الاكتشافات الرئيسية لكوبرنيك وكيبلر كانت متوقفة على علم المثلثات والجبر العربي الذي كان حتى ذلك العهد كما وضعه العرب من غير اية زيادة يضاف الى ذلك الاكداس الهائلة من الملاحظات الفلكية التي جمعوها على مر السنين فكانت نبراساً لمن بعدهم هداهم الى ما وصلوا اليه من نتائج علمية بهرت العالم حين ذاك ولا تزال تذكر لهم بالاعجاب . ونسي الناس او تناسوا انه لولا هذه الاعمار الطويلة التي فنيت في الملاحظة والجمع والتقييد ما امكن ان يصل فلكيو الغرب الى سبر اسرار اجرام السماء .

وبذلك يمكن ان ندرك بجلاء ميزة هـذه العقلية العلمية التي امتاز بها هؤلاء العلماء الافذاذ من العرب والتي كانت تدفعهم كما قلت الى البحث العلمي الخالص مـن غير انتظار لتحقيق نتـائجه العاجلة .

فاذا ما تركنا قبة الفلك ونظرنا الى عالمنا الارضي رأينا علماء فطاحل قد اهتموا بدراسة هذا الكوكب وعنوا بتخطيط مواقع البلاد وتحديد اماكنها حتى كانت خارطة العالم المعروف حين ذاك التي خططها الشريف الادريسي في القرن الثاني عشر عماد جغرافيي اوربا طيلة ثلاثة قرون وقد بلغ من دقة تعيين مواقع البلاد عليها بالنسبة لخطوط الطول والعرض انها لا تكاد تفترق عن تحديدها الدقيق فيها بعد الا بنسبة ضئيلة جداً نستطيع ان نضرب لها مثلاً بغداد التي تقع في خارطة الادريسي على خط عرض ٣٣،٢٠ وهكذا لا يزيد الفرق على ١٠ ثوان عن تحديد موقعها على الخرائط الحديثة .

ووضع العرب الخرائط الدقيقة التي كانت الاداة العلمية الوحيدة المخاطرة بركوب البحار والرحلات البعيدة . ويجب ان نضيف الى

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

الجغرافيا الرياضية الجغرافيا الوصفية واخبار الرحلات التي امدتنا بمعلومات قيمة عن البلاد النائية كالصين واواسط آسيا وافريقية كرحلة ابن بطوطه وعبد اللطيف البغدادي الامر الذي نشأ عنه علم خاص بمعرفة الارض وهو علم الجغرافيا الارضية المدين للحضارة العربية بما وصل اليه من تقدم .

وليس من شك في ان الفينيقيين واهل قرطاجه قدجابوا البحار وقاموا بكثير من الرحلات الا انهم اخفوا ما وصلوا اليه من معلومات ذهبت بانقراضهم فالعرب وحدهم هم الذين خلفوا لنا من الوثائق والمعلومات الجغرافية ما كان اساساً لاكتشافات عالمية هائلة كانت مجهولة حتى ذلك العصر وفتحت آفاقاً جديدة بهرت العالم باتساعها وكانت مصدر ثراء عظيم لمكتشفيها . فلم يكن بالامكان الطواف حول افريقية الذي شهر اسم فاسكو دي جاما واكتشاف الاقطار الامريكية الذي خلد اسم كريستوف كولومب ، لولا التقدم الجغرافي الذي وصل به العرب درجة الكمال والدقة .

فاذا ذكر الفضل لهؤلاء المكتشفين وظفروا بالشهرة العالمية فالعرب هم الذين مهدوا لهم السبيل ويسروا لهم وسائله واعدوا لهم عدته . بل كان المساعدون على تنظيم هذه الرحلات والقيام بها اما من العرب واما من الذين تعلموا منهم وان لم تكن القيادة لهم .

وقد قال الاستاذ فران الفرنسي ان الفضل في تفوق الملاحة البرتغالية يعود الى العرب (راجع مجلة المجمع العلمي العربي ج ١ ص ٢٨٢) والاستاذ فران هذا هو الذي ترجم كثيراً من مؤلفات ابن ماجد وقد علق عليها وصدرها بعنوان مؤلفات ابن ماجد الملقب باسد البحر الهائج ربان فاسكو دي غاما الذي طاف حول الارض»

ويقول الاستاذ طوقان وثبت لبعض علماء اوروبا ان فاسكو دي غاما استعان بابن ماجد في تسيير اسطوله حول الارض من مالندى على ساحل افريقيا الشرقية ، الى قاليقوت في الهند . وفي دار الكتب العربية الظاهرية بدمشق كتاب لابن ماجد اسمه « كتاب الفوائد في معرفة علم البحر والقواعد » ولابن ماجد رسائل ومؤلفات عديدة قيمة في علم البحار .

وقد يعيب البعض على العرب انهم قد تهيأت لهم جميع الاسباب للوصول الى هذه الاكتشافات ولكنهم لم يدركوها

حقيقة لم يكن فاسكو دي جاما او كريستوف كولومب او كبيلر من العرب ولكنهم مدينون اولاً وآخراً لهؤلاء العرب انفسهم بكل ما كشفوه .

ويقول كرامرز (Kramers) انه لولا قبول اوروبا لآراء المسلمين في نظرية كروية الارض لما امكنهم كشف امريكا ويذكر ان من الاوروبيين الذين تتلمذوا على جغرافية العرب (Adelard) ادلارد الذي ترجم سنة ١١٢٦ جداول حساب المثلثات التي كان ألفها الخوارزمي .

ويقول العالم الجغرافي عمانوئيل دي مارتون Emanuel) (De Mertonne انه لولا جداول ميل الشمس التي وضعها العلماء العرب لما تجرأ كريستوف كولومب على المخاطرة باختراق المحيط .

وبهذا نرى ان العرب لم يقصروا في اداء رسالتهم العلمية فهم جديرون بان تعرف لهم مكانتهم ويعترف لهم بالفضل .

ومن العجب ان يتحدث الناس عن اليونان وتراث اليونان وفضلهم على الانسانية جمعاء وينسى للعرب جهودهم .

وهل نستطيع مثلاً ان نرى لليونان اثراً واضحاً في علم الكيمياء او منهجاً علمياً يعتمد عليه او عرفت لهم تجارب هدتهم الى تحليل بعض المركبات او كشف عناصر جديدة ؟

كلا ، فما كانوا الا ملاحظين لبعض الظواهر الكيميائية من غير ان يحاولوا معرفة كنهها ، اما العرب فقد كانوا مبدعين في طريقة اختبارهم للظواهر الكيميائية فأنهم كانوا يصنعون هذه الظواهر ليجروا عليها تجاربهم بالتحليل تارة والتركيب اخرى من غير سأم ولا ملل . فهناك محاولات دائمة وتجارب متعددة ان باءت بالفشل مرة او اصابهم الاخفاق مرات فانهم يعاودون الكرة حتى يظفروا بالنتيجة التي سعوا اليها .

وكم حاولوا ان يجدوا وسيلة او اكسيراً لتحويل المعادن الدنيئة الى معادن ثمينة واجروا للوصول الى بغيتهم تجارب كثيرة ان لم تصل بهم الى ما سعوا اليه فقد افادوا منها اكتشاف عناصر اخرى والاهتداء الى خصائص جديدة لبعض المركبات التي كانوا يدرسونها . على ان وجهة نظرهم هذه ان سخر منها العالم قروناً عديدة فقد رأينا في هذا العصر ان احدث النظريات الكيميائية تسلم بصحة تحقيق هذه المحاولات .

وقد خلف لنا كيميائيو العرب مؤلفات قيمة كانت من اهم المراجع التي استفاد منها علماء الغرب ترجم منها مؤلفات جابر بن حيان الى اللغة اللاتينية .

وقد اهتم ابن حيان بشرح خصائص ماء الفضة (الحامض النتريك) وزيت الزاج (الحامض الكبريتي) وماء الذهب (الحامض النيترو هيدرو كلوريك) والبوتاس وملح الامونياك (روح النشادر) وحجر جهنم (نترات الفضة) وغيرها . كما شرح العمليات

الكيميائية الاساسية للتقطير والتذويب والتبلور (جرجي زيدان: تاريخ التمدن الاسلامي) و(Gautier).

وكذلك ترجمت مؤلفات الرازي الطبيب الشهير الملقب بجالينوس العرب ومنها كتابه « الحاوي » الى اللاتينية ايضاً.

وهنا يجب ان نذكر مؤلفا هاماً في علم الطبيعة هو كتاب المناظر » للحسن بن الهيثم الفه في علم الضوء والابصار .

وبصريات ابن الهيثم هي اهم من بصريات بطليموس ومما يستدعي النظر فيها حله لمسألة لو طبق عليها التحليل الرياضي الان لانتجت معادلة من الدرجة الرابعة. وهذه المسألة كانت موضوع مسابقة عامة في سنة ١٨٤٢ لطلاب المدارس الثانوية بباريس

ويقول Boer الاستاذ بجامعة امستردام في كتابه « تاريخ الفلسفة في الاسلام » : ان احد علماء العرب في القرن الثالث عشر (Vitellon) استطاع ان يبسط هذا الموضوع ويرى المؤلف : ان ابن الهيثم يفضل Vitellon في دقة الملاحظة للجزئيات

وجاء في كتاب تراث الاسلام : ان علم البصريات وصل الى اعلى درجة من التقدم بفضل ابن الهيثم واعترف Viardot بان Képler اخذ معلوماته في الضوء ولا سيما ما يتعلق بانكسار الضوء في الجو من كتب ابن الهيثم ويقول « سارطون » ان ابن الهيثم اعظم عالم ظهر عند العرب في علم الطبيعة بل اعظم علماء الطبيعة في القرون الوسطى ومن علماء البصريات القليلين المشهورين في العالم كله .

واشتغل ابن الهيثم في الفلك ويعترف بذلك Sédillot اذ يقول : وخلف ابن يونس في الاهتمام بعلم الفلك جمع منهم حسن بن الهيثم الذي الف اكثر من ثمانين كتاباً ومجموعة في الارصاد وتفسير المجسطي .

وله غير كتبه في الرياضيات والطبيعة كتب في الالهيات والطب يربو عددها على الخمسين . (طوقان)

اما الطب والصيدلة فقد تتلمذت اوربا في القرون الوسطى وعصر النهضة على اطباء العرب واعتمدوا عليهم اكثر من اعتمادهم على طب جالينوس وابيوقرط اليونانيين. ويقول Cautier ان العرب هم واضعو اسس فن الصيدلة .

وقد زاول الرازي مهنة الطب طيلة خمسين عاماً في بغداد وترجمت مؤلفاته الى اللاتينية واعيدت ترجمتها اربع مرات فيما بين سنة ١٥٠٩ وسنة ١٧٤٥ اي ما ينوف على مئتي عام .

وتفوق الشيخ الرئيس ابن سينا على الرازي حتى صح ان يطلق عليه لقب امير الطب .

وقد ترجم قانون ابن سينا الى اكثر اللغات الاوروبية وطبع واعيد طبعه مراراً حتى القرن السابع عشر .

وفي لائحة جامعة لوفان ببلجيكا في القرن السابع عشر مايفيد ان مؤلفات الرازي وابن سينا كانت عمدة دراسة الطب في ذلك القرن .

وقد بقيت مؤلفات ابن سينا اساس الدراسة في الجامعات الاوروبية مدة ستمائة سنة .

واذا كانت جامعة Montpellier قد امتازت بدراسة الطب فما ذلك الا لانها كانت في انسب مكان يسمح لها بتلقي آراء العرب والتأثر بها.

ويقول الاستاذ محمد فريد وجدي : وخير ما يصور النشاط العلمي للمسلمين ما كتبه (دريبر) الاستاذ بجامعة هارفارد بنيويورك في كتابه (التنازع بين العلم والدين):

كان شعار المسلمين في بحوثهم الاسلوب التجريبي والدستور العلمي وكانوا يعتبرون الهندسة والعلوم الرياضية ادوات ومعدات لعلم المنطق . وقد يلاحظ المطالع لكتبهم الكثيرة على الميكانيكا والهدروستاتيك ونظريات الضوء والابصار انهم قد اهتدوا الى حلول مسائلها من طريق التجربة والنظر بواسطة الآلات .

هذا هو الذي ادى بالمسلمين لان يكونوا اول الواضعين لعلم الكيمياء والمكتشفين الكثير من آلات التقطير والتصعيد والصهر والتصفية وهذا بعينه هو الذي جعلهم يستعملون في دراساتهم الفلكية الالات المدرجة والسطوح المعلمة والاسطرلابات وهو ايضاً الذي بعثهم لاستخدام الميزان في العلوم الكيميائية وقد كانوا على ثقة تامة من نظريته وهو الذي هداهم لعمل الجداول للاوزان النوعية للاجسام والازياج الفلكية مثل التي كانت في بغداد وقرطجنة وسمرقند وهو الذي اوجد لهم هذا الترقي الباهر في الهندسة وحساب المثلثات وهو ايضاً الذي هداهم لاكتشاف علم الجبر ودعاهم لاستعمال الارقام الهندية . وقال :

وكانت المدارس مودعة لذوي المدارك الواسعة فكانت اما بيد النسطوريين او اليهود لان المسلمين لم يكونوا يتحرون عن جنس العالم وديانته وما كانوا يزنون قدره الا باعماله .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

بعد كل ما قدمنا نستطيع ان نرى وجه الامة العربية الصحيح في عصورها الزاهرة وكيف افادت العلم بثمرات ابحاث علمائها وتجاربهم التي كانت اهم عوامل الحضارة الاوروبية في اول نهضتها كما يشهد لذلك ما عرضناه من آراء طائفة من علماء الغرب ما بين انكليزي وافرنسي وهولندي واميركي .

ولعلنا نلمح من خلال ذلك ان التراث العلمي للعرب لم يكن اقل قيمة مما ورثناه عنهم من ادب وفن وان كان قد جرى على السن الادباء واقلام الكتاب ومؤرخي الادب الاشادة بفضل العرب على اللغة وخصب انتاجهم الادبي في فني الشعر والنثر وعدوه مفخرة لهم .

ونحن نوافقهم على ان النهضة الادبية بلغت من القوة والازدهار والسمو الدرجة العليا ولكنا نقرر الى جانب ذلك ان هذه النهضة كانت عربية صميمة وكان اثرها مقصوراً على العرب والاعجاب بها وتذوقها وقف على العرب وحدهم او المستعربين الذين شاركوهم هذه الدراسات وتذوقوها .

اما الثقافة واما الانتاج العلمي فكانا لا يقلان اهمية عن هذه النهضة الادبية بل يساميانها في القوة والازدهار ويفوق عليها العلميان اثره كان اعمق ، ومجاله كان اوسع فقد تعدى انتشاره المحيط العربي الى العالم الاوروبي وكان لعلوم العرب الفضل الاول على النهضة الاوروبية حتى ان Gustave Lebon يقول : لو انا محونا العرب من التاريخ لتأخرت النهضة الاوروبية قروناً .

هذه لمحة عن فضل العرب على العلوم في القديم نذكرها لهم مسجلين ومعجبين فاين نحن منهم الان ؟

لا شك انا نعتمد على الغرب في علومه ونستمد منه مقومات الحضارة الحديثة ونستخدم كل جديد من المخترعات في نهضتنا الحالية ونذكر له فضله على المدنية الحاضرة وكان موقفنا حتى الان من هذه العلوم موقف المستغل غير الشريك .

وما ذلك الا لانه لم تتح لنا حياة الاستقرار التي تسمح بظهور الشخصية وتطبعها بطابع خاص فيه كل ما ورثته الامة من حضارة اجيال متعاقبة تمثلها تمثلاً صادقاً تحفظت لها كيانها على الرغم مما قاسته من شدائد .

واذا كانت العقلية العلمية اهم خصائص البحث الحديث التي يشيد بها كل منتم الى العلم فقد راينا انها انبعثت عن العرب قبل ان تكون اوروبية وربما يمكن تعليل ذلك بان الامم الاسيوية كانت ارسخ قدما في الحضارة وابعد تاريخاً في المدنية فلا عجب ان تكون لهم تلك العقلية التي هي اثر من آثار الاستقرار كما بينا .

وانا ان نعتز بوراثتنا لهذه الحضارات القديمة حينما كان مصدرها وان نقرر انا لا تنقصنا العقلية العلمية الضرورية لتفهم العلوم فنستمدها من غيرنا ، ونحن بذلك نرد كيد الذين ينعتوننا بقصر الادراك وضعف الفهم وانا ابداً مستغلون ، لا ينتظر ان يكون لنا مشاركة في انتاج او حظ من ابتكار .

واذا كان من اهم مميزات النهضة العلمية الحديثة انها عالمية لا تعرف وطناً (ومن مأثور القول ان العلم لا وطن له) فالتعاون بين الامم وثيق في الكشف والاختراع وكل مكتشف او مخترع مهد السبيل لغيره ويسلمه الزمام مهما تباينت الاجناس فكذلك كانت الحال في القديم في عهد ازدهار المدنية العربية فما كان رجال الحركة العلمية والباحثون من العرب الخلص فقط بل كان المجال فسيحاً امام كل من تحتويه الامبراطورية العربية الضخمة مهما اختلف جنسه وكلهم يعمل لخير المجموع ولا يفكر الا في خدمة العلم للعلم .

وخلاصة القول ، ان المدنية العربية قد رصعت جبين التاريخ باغلى وابهى اللآلي واسدى تراث العرب العلمي للعالم اجل واعظم الخدمات كما شهد بذلك علماء الغرب الاعلام وما أشدنا بذكر مآثر هذا التراث العربي المجيد الذي تترنح جوانحنا فخراً واعتزازاً به ، الا ليكون حافزاً وهاديا لنشئنا على الاقتداء بهؤلاء الجدود الذين سطر التاريخ اسماءهم بمداد من نور . . .

ابراهيم عبد العال

صدرت الطبعة الجديدة من كتاب :

رجعة ابي العلاء

للاستاذ عباس محمود العقاد

نشرته في حلة شائقة دار احياء الكتب العربية في مصر
بمناسبة الذكرى الالفية لمولد ابي العلاء

مع مقدمة جديدة

يطلب في سوريا ولبنان من دار « الاديب » بيروت

الثمن ٢٥٠ قرشاً لبنانياً

http://Archivebeta.Sakhrit.com

فراغ وامتلاء

هاجسٌ أصفر الحديث ، أشح عني ، ودعني أذوب تحت رمادي
أسودٌ ربما كان ، أبيضٌ في حناياه ، تعرت ذراته في سواد
ويقولون لي : « ملولٌ » فلم اسمع ، وأغرقت ضاقي في رشادي
بي من الحق عارض ، ومن الكفر اعتقاد ، ويقظة في سهاد
واختلاف الالوان في دمي الصاخب هزوٌ من حيرتي واعتمادي

*

طاف في لمحتي تروي زمان عاقل منذ مطلع الايجاد
وانجلى وانطوى فأبصرت دهراً في ازدياد لكنه من نفاد
وفم مط ساخراً فيّ فانصاع انتفاض على حواشي اتئاد
أنا ماض وبي التفاف على نفسي في تشبثي واقتيادي
ولدى هامشي ظلال من الوهم سرابٌ مغرورق في وهاد
لا تحاول خديعتي انا ما لنتُ لغاوٍ فؤاده من جماد
أي شيء تكون ؟
لا لست مني كل نقص في ذلك الازدياد
انكرتني كفي، وانكرت فكري فكلانا صمت بكهف تناد

*

شفتي في تلمظٍ وضميري مستفيق وخاطري في انقياد
ابداً اجذب المشيح ولكن بي شيء دانٍ على إبعاد

*

انا ماضٍ وبي التفاف على نفسي في تشبثي واقتيادي
امي الارض ذرة في فضائي والفضاء الرحيب شط مرادي
تاهت الشمس في مداري والوى الكون عن رغبتي وفضل مرادي
ها هنا موقف على جانح النمل ولكن يدوز في الابعاد
انا بالله مقلتي تسع الدنيا وقلبي لعالم غير باد
وفراغي يليح للقادم المجهول ، شوقٌ يترو الى ميعاد
تنطوي حولي الدهور وتمضي وهي مني كهمسةٍ في واد

*

أنا مني يا أنت كل اتجاهٍ لعثم الحصر في فم التعداد
لا تحاول، حدود طرفٍ وفكرٍ لم يقف عندها اختلاجُ فؤادي

صبدا — علي محمد شلق

عمــــر والمــــرأة

بقلم مارون عبود
مدير الجامعة الوطنية بعاليه

☆

لسنا(*) نحاول درس نفسية المرأة في عهد عمر فهي في عهده وعهدنا كما كانت في عهد آدم ، وابو جوان لم يعنه منهـا الا هذه الناحية ، فهو لا يموت منه الغم كالبحتري اذا افلت منه طيف .

قال احد المؤرخين في عصر عمر . هذا عصر انتهى فيه ممن العرب وفاضت الدنيا عليهم . فلا بدع اذن ان راينا حبيبات عمر مشرفات غنيات شريفات قارئات كاتبات . لم يعرفن عمر علق شخوصهن معرفة لا تخلط بين واحدة واخرى فكلهن دمى الرهبان وعين البقر ، غزالات عليهن ذهب ، مسك وعنبر ، ما فيهن تفلات فالعطر يفوح من ابرادهن وخيامهن ، كما قال في نعم .

فدل عليهـا القلب ريا عرفتهـا   لها ، وهوى القلب الذي كاد يظهر

فلا ترى في شعره اذ يصفهن الا العطر والزعفران والزبرجد والجمان والمرجان والياقوت والقرنفل واليلنجوج ، والرند والكافور والزنجبيل . فطعم كل واحدة كالراح وريقها راح وسلافة الراح والتفاح ، والعذق الرطيب والعسل .

ولو تفلت في البحر والبحر مالح   لاصبح ماء البحر من ريقها عذبا

اما الملامح فعينا جؤذر وجيد ريم وحسن كالهلال والدينار في ثياب العصب . كل اسنانهن وانيابهن – لا ادري لماذا انفر من كلمة انياب – مفلجة مؤشرة وهي دائماً تشبه البرد والاقحوان او كسنا البرق . وهذا الجمال يزينه خز وقز ووشي ودرحلي وسوار وبريم وخلخال . اما الجلود فطرية ناعمة :

لودبّ ذرّ فوق ضاحي جلدها   لأبان في اثـارهن حـدور

افلا تظن انه يعمل ايضاً في جلدي وجلدك الناعمين مثلما عمل في جلدها ؟! واغرب من هذا كله ان احدى صاحباته تراءت له كالشمس ولكن كيف ؟ اسمع :

هي الشمس تسري على بغلة   وما خلت شمساً بليل تسير

اليست هذه الشمس على البغلة مضحكة جداً . ولا غرو ان تتداعى الافكار عند ذكر البغلة فتحضر الى ذهن عمر صورة البيطار فيقول في ممساره ابي عتيق .

ودعاني ما قـال فيهـا عتيق   فهو بالحسن عـالم بيطـار

ان عمر قَرِمٌ دائما الى اللحم فهو يريد لحما كثيرا ، حتى يسأل القضاة ان يجيزوا شهادة العجزاء ، اي التي لها الية كالحروف :

وارفضوا الرسح في الشهادة رفضا   لاتجيزوا شهـادة الرسحـاء

يكشف صدره ليدعو على الرسح دعـاء ارملة مقطوعة فيسأل الله قصف اعمارهن .

عجل الله قطعهن وابقى   كل خود خريـدة قبـاء
تعقد المرط فوق دعص من   الرمل عريض قد حف بالانقاء

الا ترى ان لو تجمعت رملية بيروت و كانت كفلا لاحداهن لوجد فيها عمر اقصى امانيه كقوله :

مرتجة الردفين بهكنـة   رود الشباب كأنهـا قصر

يابارك لله !! انها تذكرنا بناقة عنترة .

بهذه العين ينظر اليهن ابوجوان وينتقيهن كالقصاب من القطيع . واعجب من هذا انه يشبههن باللحاف . ويرى عمر الحسن مخلوطاً بالطيب فلا يصبر عنه ، وكيف يصطبر من ينصح فتيين في المجد تلك النصيحة الثمينة . اما الخلق الكريم فما ذكره عمر الا مرة واظنه اضطر اليه فقال :

سيفانة اوتيت من حسن صورتها   عقلًا وخلقا كريما كاملا عجبا

بل هو بالعكس يصفهن بما يسفلهن فيجعلهن كريمات حتى على ابن السبيل :

غريب اتى ربعنـا زائراً   واكره رجعتـه خائبـا

(*) راجع الجزء الماضي من « الاديب »

اما صلاته بهن فاشبه بصلات كل محترفي هذه الحرفة ، فهو يترصد هنا وهناك ترصد الهر للعصافير . كان موسم الحج لعمر كالاعياد عندنا اليوم . و كما يفعل كثير من شباننا كان يفعل ، و كما يلقون في آذان المارآت كان يلقي ، فمن شاء ان يتخيل صورة عمر كاملة فليتأمل احد هؤلاء عند ابواب المعابد . كان عمر فويسقا عياّرا فاسداً مفسداً :

قالت لترب لهـا ملاطفة   لنفسـدن الطواف في عمر

فالحج عند ابي جوان معرض جمال يكثر فيه عليه الرزق فيرزح تحت اعباء الواجبات المتراكمة . وهو ملحف ملحاح ووسائل الاغراء عنده كثيرة ، وكثيرا ما كان يتوسل اليهن بالعمومة والخؤولة ووحدة الحال ولا يتورع عن ان يتخذ من الدين اسبابا يمدها بينه وبين حبيباته ، فيقول ، لا يحل لك قتل مسلم ، وهلم جرا . وبهمة ونشاط تلك المنظمة التى كانت عنده ، قلما افلتت منه حمامة . ولا ننس الغناء فقد كان يجعل مجالسه على مفرق الطرق والمعابر ، ومغنيه ابن سريج والغريض وكثيرا ما كان يوفد هما ليغنيا بشعره عند من تعصى عليه فتلين وتحن .

ان امثال عمر كثيرون في الحياة ، فصاحب مدام بوفاري انتظر (الكوميس comices) فاصطادها . اما نساء ذلك العصر فافاتهن ان ابا جوان شركة مساهمة كما يتضح من قوله :

هذا الذي منح النساء فؤاده   فشركنه في مخه والاعظم

وهو مشهور عندهن بالخداع وقد اعترف بذلك بلسان احداهن .

غرّ غيري فقد عرفت لغيري   عهدك الحائن القليل الثبات

كما يقول في مكان آخر . ما سمي القلب الا من تقلبه . . .

وابو جوان يملأ شعره بالأيمان المغلظة ، والقسم من مظاهر الادب العربي عموماً ولا سيما القديم منه ، بل من مظاهر حديثنا ، ولذلك اجازوا الفصل بالقسم في كل موضع حتى بين قد والفعل . اما الميزة العجائزية التى اراها في شعر عمر فهي انه يدعو مثلهن عدد الرمل والتراب والنجوم والحصى وورق الشجر . ومن يكن كذلك فلا بد من ان يقتحم البيوت ويغامر ولكن ليس في شرف مروم :

بالله رب محمـد خبرنني   حقًا اما تعجبن من هذا الفتى
الداخل البيت الشديد حجابه   من غير ميعاد اما يخشى الردى

وهو تبع الى اقصى حد حتى قالت فيه احداهن :

خذن عني الظل لا يتبعني   ومضت تسعى الى قبتهـا

ولعمر تائية تدل على هذا الخلق الكريم اذكر الك منها شيئا اعجبني وفيه الدليل الاعظم على انه كذاب لا عهد له :

من كلام تهـذه ويحلف   فلعمري فربمـا قد حلفتـا
ثم لم توف اذا حلفت بعهد   بئس ذو موضع الامانة انتا
قلت مهلا عفوا جميلا فقالت   لا وعيشي ولو رايتك متـا

وهو يعبر عن هذا الغدر في موضع آخر حيث يقول :

ثم قالت لاختهـا ولاخرى   جزعا ليته تزوج عشرا

كان عمر بلاء على الحواج وعلى اهلهن وقد اعيا العمال والخلفاء وذوي النساء كما حدثونا عن عبد الملك وابي الاسود ولكن النساء راغبات فيه وله معهن قصص تشبه حكايات الف ليلة وليلة . كنّ يردن شعره ويطلبنه حتى ان احداهن سالت عمن يخلفه حين بلغها خبر موته . ما شبهت عمر مع النساء الا بولد مدلل يظل يطاب اصناف الاكل تارة بالتمرد وطورا بالملاطفة والمداهنة وتارة بالشكوى فيزعج اهل البيت فيرضى بالتافه ستراً على اهله .

ان الحياة البوهيمية التى عاشها ابو جوان قد استحال معها الهوى الى عادة ، وكان الخير فاضلا عنه ، فهو لاحق بهذه الى العراق وبتلك الى الشام . يصور لنا حيلهن لتصيده فتلك تنصح له ان ياتي على بغلة لا على بعير يسد الفضاء :

فان جئت فـأت على بغلة   فليس يوأتي الخفـاء البعير

ولا على مهر ايضاً فالمهر يفضح :

وليأت ان جـاء على بغلة   اني اخاف المهر ان يصهلا

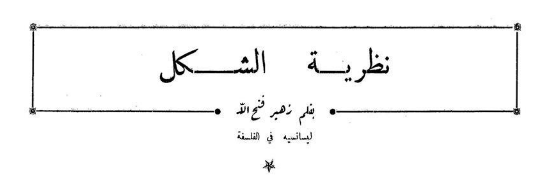
اخبرتك ان ابا جوان كان عند احداهن ثقيل الظل اما عند الثريا فهو يجعل نفسه كيوسف من امرأة العزيز :

فالتقينـا فرحبت ثم قالت   عمرك الله ائتنا في المقيل
في خلاء كيا يرينك عنـدي   فيصدقنني ، فـداك قبيلي
لم يرعهن عنـد ذاك وقـد جئت لميعـادهن الا دخولي
قلن هذا الذي نلومك فيـه   لا تحجي من قولنا بفتيل
فصليه فلست فيه (تلامي)   فهو اهل الصفاء والتنويل

هذا عمر والمرأة ، اما شعره وشاعريته فموعدهما قريب .

عاليه   مارون عبود

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



نظريـــة الشـــكل

بقلم زهير فتح الله

ليسانسيه في الفلسفة

✱

هذا النقد الذي وجهناه الى نظرية خواص الشكل سيقودنا الى الموقف الذي وقفه علم نفس « الشكل » Gestaltpsychologie في هذه المشكلة . ونحن سنلخص النتائج التي وصل اليها هذا العلم في عدة قضايا ، ونبين بعد ذلك المسائل التي ستقودنا اليها تلك القضايا .

ان الحوادث النفسية اشكال ؛ اي انها وحدات عضوية تتخذ لنفسها شخصيات وتتحدد في المجال المكاني والزماني للادراك او للتصور .

ترجع الاشكال في حالة الادراك الى مجموعة من العوامل الموضوعية ، والى مجموعة من المنبهات . ولكن هذه الاشكال قابلة للنقل transposables بمعنى ان بعضاً من خواصها يحتفظ بنفسه اثناء التغيرات التي تطرأ بطريقة من الطرق على جميع العوامل .

تتميز الاشكال بخاصة مقطعية او مفصلية داخلية articulation interne ، أي ان بعضاً من اجزائها او اعضائها الطبيعية يقوم في داخل الكل بوظائف معينة ، ويكوّن في داخل هذا الكل ايضاً وحدات او اشكالا ثانوية . وادراك مختلف انواع العناصر ومختلف انواع العلاقات يوافق حالات تشكل مختلفة لكل معين خاضع ، بنفس الوقت ، لشروط شخصية وذاتية او شروط موضوعية .

يمكننا ان نقرر ان الجزء في كل معين هو شيء آخر غير هذا الجزء في حالة عزله ، او في حالة اشتراكه في تكوين كل آخر ، وذلك راجع الى الخواص التي يكتسبها هذا الجزء من مكانه ومن وظيفته في كل واحد من هذين الكلين .

التغيير في شرط موضوعي مـا ، يمكن تارة ان يحدث تغيراً موضعياً في الشكل المدرك ، ويمكن تارة اخرى ان يترجم او يعبر عنه بتغيير في خواص الشكل العام .

لكل نظرية معطيات données تعتقد بها وتعتبرها نقطة ابتداء لبحثها ولدراستهـا . فالنظريات القديمة كانت تأخذ بالاحساسات العنصرية وتعدها نقطة البدء في ابحاثها : هذه الابحاث التي كانت ترمي الى ايجاد الحلول والقوانين او الطرق التي بموجبها تلتئم وتنتظم هذه الاحساسات العنصرية ، اما نظرية « الشكل » فانها تتخذ لنفسها فكرة « الاشكال » او « الابنية » كنقطة ابتداء . وهي بذلك تـ[...] وجود احساسات عنصرية متفرقة . كذلك هي ترى ان المادة لا يمكن ان توجد بدون صورة وبدون شكل من الاشكال . واذا كان لاحد ان ينتقد نظرية الشكل فيقول عنها انها اخذت المشاكل التي جربت النظريات السابقة ان تحلها ، وعدتها محلولة ، فاننا نقول ان ذلك غير صحيح : لانا بيّنا ان هذه المشاكل نفسها خاطئة في وضعها وتركيبها ، وعلى ذلك فلا لزوم لوجودها ، وبالتالي فلا لزوم لان نجرب حلها ، وبيان خطأ هذه المشاكل بالذات ، لا يعني ان كل المشاكل قد ازيلت من علم النفس ، بل كل ما في الامر ان نظرية « الشكل » قد وضعت البحث في شكل ينطبق مع ما وصل اليه البحث العلمي من رقي ودقة . انها اذا كانت قد الغت فكرة العناصر ، واتخذت لها « الاشكال » كنقطة ابتداء ، فهذا لا يعني انها ازالت من طريقها كل مشكلة ، لقد بقي عليهـا ان تبسط بالتجربة شروط هذه الاشكال وان تعين قوانين تحولاتها وتغيراتها .

هذه هي المشكلة الرئيسية في نظر اصحاب نظرية الشكل . انها ستنحصر في تحديد مجموعة المنبهات الطبيعية التي توافق كل « شكل » مدرك ، كما انها ستنحصر في تحديد تغير تلك المجموعة من المنبهات ، هذا التغيير الذي يحدث بدوره تغيراً في بناء ذلك « الشكل » .

ليس الشكل حاصل جمع لعدة عناصر ، انما هو الدالّة fonction لعدة متغيرات . ولكي يكون هذا البحث منتجاً لا يجب ان نفرض تطابقاً بين عناصر الوضعية الخارجية ، وعناصر « الشكل » ، لان هذا التطابق لا يكون موجوداً دائماً واذا وجد فانه لا يكون مستمراً .

ولكي تظهر هذه المشكلة في اجلى معانيها يجب توسيعها . فنحن الى هنا ، قد قررنا ان معاني « الشكل » و« البناء » هي معان نفسانية ،

فدراسة القطعة الموسيقية تظهرنا على ان الاصوات ، بما هي احداث طبيعية ، وبكونها منفصلة بعضها عن بعض ، تكوّن في شعور السامع « واقعة » او « حدثاً » phénomène يمكن لها ان تمثل طبائع « الاشكال » Les caractères des Formes : الى هنا تتفق جميع المدارس المنتمية الى نظرية « الشكل » ولكن المدرسة التي سنخصصها بدرسنا فيما يلي تذهب الى اكثر من ذلك . انها تتساءل عما اذا كانت الاشكال توجد في الفكرة فحسب ، ام انها مظهر تتخذه في فهمنا حقيقة طبيعية مفروض فيها الخلاء من كل تنظيم ا . . . . . . كذلك هي تتساءل عما اذا كان « الشكل » معنى عاماً له تطبيق في خارج نطاق علم النفس . . . . ثم هي تتساءل اخيراً اذا كان في الامكان اضافة فكرة علم نفس خاص بوصف بالاشكال كما تبدو في الشعور . . . . . (اقول علم نفس ولو ان المؤلفين لم يذكروا صراحة كلمة علم نفس وانما قالوا : phénoménologie ويقصد بها العلم الذي يدرس ما تخلقه الاشكال في نفوسنا من وقائع نفسية)

المفردات : « شكل » و« بناء » و« منظمة » تتصل بلغة علم الحياة كما تتصل بلغة علم النفس . ولو نظرنا الى الكائن الحي لرأيناه مجموعة من الانظمة ، او قل انه نظام تحدد اجزاؤه ، التي هي الانسجة والاعضاء ، طبيعته . وليست هذه المنظمة ستاتيكية فحسب ، بل هي ديناميكية ايضاً ، بمعنى ان جميع هذه الاجزاء تشترك في ايجاد هذا التوازن القائمة عليه حياة الكائن . وكلمة « التكيف » L'adaptation تلخص لنا هذه العلائق المتشابكة بين الكل وبين الاجزاء ، فمن هنا نستطيع اذن ان نقارب بين الاشكال النفسية والاشكال العضوية .

ان الحياة النفسية تبزغ في صميم الحياة الفيزيولوجية ، انها تتصل بجذورها بالجسم العضوي . والادراك ، والفكر يتصلان بالوظائف العصبية . وعلى ذلك فأنه يجب أن يكون هناك تقارب بين التنظيم الذي يدرسه عالم النفس ، وبين التنظيم الذي يدرسه عالم الفيزيولوجيا ، واذا كان ادراكنا منظماً ومنتظماً ، فأن العملية العصبية processus nerveuse المطابقة له يجب ان يكون كذلك منظمة بالطريقة نفسها . واذا لم يكن هناك من عناصر نفسية مستقلة فمن الاحرى اذن ان لا يكون هناك تطورات عنصرية ومستقلة لعمل الذهن . واذا كان هناك من تواز parallélisme فأن هذا التوازي لا يوجد بين حوادث عنصرية élémentaires ، ولكنه يوجد بين شكلين : احدهما فيزيولوجي والآخر نفسي ، متحدين في البناء . وبهذه الطريقة رفضت نظرية الشكل اي تفريق بين الذهن وبين الجسم فيما يختص بصفة التنظيم . وعلى ذلك فالذهن ليس قوة منظمة تخلق بطريقة سرية ، وبنشاط تلقائي لا سبب له ، نظاماً اجنبياً عنها بالكلية من هذا الخليط من العمليات الفيزيولوجية .

فنظرية الشكل تطرح كل هذه التعليلات وترى ان الحدث الفيزيولوجي والحدث العصبي ، في كل مظاهرهما الخاضعة للعلم ، ليسا الا احداث طبيعية . فالفيزيولوجيا تتكلم بلغة علم الطبيعة . وهذا التصور للاشياء يقودنا حتماً الى توسيع معنى « الشكل » الى بعض الاحداث الطبيعية : علينا ان نبحث عن « الاشكال » لا في الاحداث الفيزيولوجية التي نصادفها عند الكائنات الحية والتي تكون مترجمة بالفاظ علم الطبيعة فحسب ، ولكن في الاحداث التي يدرسها ويعيد تمثيلها عالم الطبيعة في معمله ايضاً .

وباعتمادنا هذه الدراسة في تصور الاشكال النفسية ، فأننا نتمرن على التسليم بوجود تمثيلات analogies بين هذه الاشكال النفسية وبين الاحداث الطبيعية ، وبالمقابلة فهذه الامثلة المستعارة من علم الطبيعة ستمكننا من فهم اجود لتلك الاشكال النفسية .

هذه نظرة عامة القيناها مع بول جويوم على نشوء هذه النظرية ، وعلى تلك القواعد التي اتخذتها تكأة لهذا التجديد الباهر الذي اوجدته في النظر الى الوقائع النفسية والى طريقة تفسيرها وتعليلها . بيّنا تلك الخطوط التي قادت علماء النفس الذين يأخذون بهذه النظرية ، في بحثهم لكل باب من ابواب علم النفس . وكان بودنا لو اتيح لنا ان نتابع اولئك العلماء الاجلاء في جميع مباحثهم ، ونطلع على جميع تجاربهم التي هي على درجة عظيمة من الدقة والرشاقة ، ولكن المجال اضيق من ان يسمح لنا بهذه المتعة ، والمصاعب اشق من ان يتغلب عليها بزمن قصير كالزمن الذي افرد لهذا البحث .

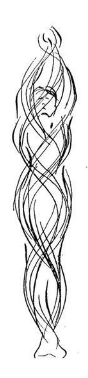
لقد كان علي ان اجهد في عملي هذا ، وقد فعلت ، فأذا ما بقي في البحث اماكن مظلمة يتيه فيها ذهن المطالع فأني اعتقد ان الذنب في ذلك لا يرجع الى غموض في البحث نفسه ، ولكنه يرجع الى عدم وجود مفهوم لهذه المفردات المستعملة هنا ، في عقلية القارئ بالللغة العربية . واني ارجو ان تكون الحال عند نهاية القراءة من هذا البحث احسن منها عند الابتداء به ، وسنعمد فيما بعد الى احد الابحاث التي طرقتها هذه النظرية فنجرب ان نبسطه مع بعض التجارب الخاصة به . وسنأخذ من الذاكرة موضوعاً لبحثنا القادم .

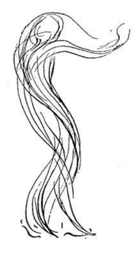
زهير فتح الله

يا ليل !

عن الشاعر الانكليزي شللي

يا روح الليل !
طيري سريعة فوق الامواج الجنوبية
بعيدة عن ذلك الكهف الشرقي الغائم ،
حيث الايام الطويلة المظلمة
انك نسيج محبوك من احلام مفرحة ومخيفة
تجعلك مرعبة وعزيزة
ليكن طيرانك خاطفاً
يا روح الليل !





القي نفسك في جلبابك الرمادي
واختبئي من الكواكب الهاوية !
واعمي بشعرك الفاحم عيون النهار ،
قبليها حتى تنهكها قبلك
ثم هيمي فوق المدن والبحر والبراري
والمسي كل شيء بعصاك السحرية المخدّرة
تعالي : واطيلي تفتيشك !

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

عندما استيقظ وأرى الفجر
أتأوّه حسرة عليك !
وعندما يرتفع الضياء وتتلاشى قطرات الطل
ويرتمي الضحى ثقيلاً على الازاهير والاشجار
ويعود النهار الى راحته
متمهلاً كضيف ثقيل
أتأوّه حسرة عليك ! . .

جاء أخوك الموت وهتف : أتريدني ؟
لقد نام طفلك العذب وعيناه مغمضتان
يتمتم تمتمة تشبه تمتمة النحلة في الظهيرة !
أو أستطيع أن أبني لي عشاً بجانبك ؟ !
أتريدني ؟ ! – فاجبته : « لا ؟! »

في اللحظة التي يحتضر بها فنّك ويتوارى
يقبل الموت حالا !
ويُقبل الهجوع !
وسأطلب البهجة طلب المتململ !
وأسأل عنك
عنك يا روح الليل الحبيبة ! . .
فليكن دنوك سريعاً . . سريعاً ! . .
تعالي . . يا روح الليل . .

مرتضى شرارة

الحلة – العراق

معجم الالفاظ العامية العربية والدخيلة

بقلم عيسى اسكندر المعلوف

عضو المجامع العلمية في مصر وسوريا والبرازيل



[الحاء]

حادفه بدَينه – اذا ماطله بوفائه وفصيحها جارّه الدين اذا ماطله به–ومطله حقه وبجفه اذا سوفه.

حازوقة – ُفواق.

حاص – قلق ، وقع في حيص بيص.

حاصل حنطة – موضع خزنها فصيحه هري (ج) اهراء ونبر (ج) انبـار.

حاووز الماء – محل خزنه وهو الخزّان. وقائم المـاء بناء مرتفع يتوزع منه.

حبة – بثرة. وحب الصبا وهو بثور تخرج في الوجه. فصيحها العُدّة والعد. وحبحب وجهه فصيحها حثر وبثر. وحبحب الزرع اذا صار ذا حب فصيحها أحبّ. وحبحب اللوز ونحوه لبب صار ذا لب.

حبل السباق – المقبض وهو ما يمد بين ايدي الخيل في الحلبة.

الحبل الشوكي او دودة الظهر – العرق الابيض الذي يجري في فقير الظهر فصيحها الشليل.

حراقة – ضمادة توضع على الجلد من الذبان الهندي لتنفطه وفصيحها المنفطة او الذراح (ج) ذراريح.

حربجي – نسبة تركية الى الحرب وفصيحها محرب ومحراب.

حربق الحبل – حبكه وشبكه. والحمل احكم حزمه وهو من حبق المتاع جمعه واحكم امره.

حردبة الجمل – سنامه وما كان على شكل سنام فهو المسنم كالجملون ونحوه.

حرش – مجموع اشجار تحريف حرج وبمعناها غاب وأجمة.

حرفشت العين – اذا دخلتها قذاة فآلمتهـا من الفارسية (حريش) بمعنى الخشن.

حزّق ثدي المرأة – اذا اجتمع فيه اللبن فامتلأ واشتد وضغط عليه. وفصيحها الردة. وشكرت الناقة اذا امتلأ ضرعها فهي شكرى.

حط كفه فوق عينه ليستشرف الشيء – فصيحهـا استكف عينه اذا وضع كفه عليها في الشمس ينظر هل رأى شيئاً. فاستكفت عينه نظرت تحت الكف.

حط بفكره الشيء – أي عاقه بذهنه وفصيحه ذُهن ذهانة حفظ قل ما اودعه.

حط ايده (يده) على خاصرته – فصيحها اختصر الرجل اذا فعل ذلك

حط نصف نعل لحذائه – فصيحها طارق النعل اذا خصف عليهـا نع اخرى. والمطراق كل خصيفة يخصف بها النعل.

حط في عرضه – اذا ذمه فصيحة استعملها الزمخشري في الاساس.

حكش اسنانه وحركشها – فصيحها استنّ أي نظف اسنانه مما تخل ومثلها استاك بالمسواك.

حكوا بالدور – أي تكلم الواحد بعد الآخر ، وفصيحهـا ساقد الحديث تكلم الواحد وسكت الآخر بالتناوب.

حاج – اذا قفز على رجل ورفع الاخرى تحريف حجل وبمعناه (عتب) اذا وثب برجل ورفع الاخرى.

الحلوان – ما يعطى للخادم فصيحها الراشن وفارسيتها (شاكر دانه)

الحَوك – تقول العامة (شو حَوكو) أي مـا هي هيأته – يقو الفصحاء (ذا على حوك ذا) أي مثله سناً وهيأة.

حيّح من الركض – وحيحة الدابة اذا انهكهـا بالجري والفصي حسر الدابة اذا ساقها سوقاً عنيفاً حتى انهكها. وأعياهو من الركض.

[الخاء]

خابر – بمعنى حادث وفاوض وهي عامية لان خابره بمعنى زارعه بعض حاصلات الارض.

خانة – في الموسيقى بمعنى مقطع الصوت في انخفاض وارتفاع فارسي (خانه).

خان – من لغة السنسكريت Ganaka (كانكا) بمعنى ملك بالتتر ومنها King بالانكليزية. واول من حمل لقب خان جنكيز ملك التت ثم استخدمه الفرس لقباً لولاة الاقاليم. مثل باشا عند العثمانيين.

خان – بمعنى منزل فخان المسافرين محل نزولهم وخان التجار منزله للتجارة بمعنى الحانوت فارسي.

خديدية – وسادة صغيرة يوضع عليها الخد عند النوم واسمها مصدغ من الصدغ ومِحسبة.

الخرضة – تحريف الخردة وهو ما صغر وتفرق من البضاعة فارسيته خُرده.

خرط – في كلامه كذب تحريف هَرَط في الكلام سفسف وخلط. وهمش أكثر الكلام في غير صواب. او هي تحريف (خلط).

خلّفت المرأة – ولدت اولاداً ، فاذا كانوا قصار القامة قيل أقصرت وان كانوا طوالًا قبل أطالت ، وان ولدت اثنين في بطن واحد قيل أتأمت فهم متئم ، وان كانت ولادة التوأمين من عادتها فهي متآم ، وانْ ولدت ولداً ميتاً يقال أملصت فهي مُملص والولد مليص ومليط والمليط الجنين قبل ان يُشعر أي ينبت شعره. ووضعت المرأة بمعني ولدت.

الخلقين – المرجل الكبير من النحاس للطبخ ونحوه.

الخمّارة – بائعة الخمر. واما تسمية محل بيع الخمر بالخمّارة ففصيحه الحانة.

خنخن – اذا اخرج الكلام من أنفه ولم يبنه. وخنّ وغن بمعناها وكلها فصيحة.

خنزيرة الدولاب – خشبة ثخينة تحيط بمحوره يلف عليها الرشا (حبل الدلو) يناسبها البكرة.

الخنوس – اصل معناها ولد الاسد. واستعملت لولد الخنزير بالصاد (خنوص). وللصغير من كل شيء.

خوخة الباب – الباب الصغير ضمن الباب الكبير المدخل وفصيحها الخادعة.

خوش بوش – خوش فارسية بمعنى لطيف وجيد وسعيد وردت في شعر الاعشى خُش بمعنى طيب وفي التركية بوش بمعنى خال وفارغ فتؤدي الكلمتان معنى (عجيب غريب) وتستعمل عامتنا كلمة خوش للاستدراك بمعنى موافق.

خور من الجوع – اذا نهك من خار الرجل اذا فتر وضعف وانكسر ومنها خورت الارض اذا ارتخت من كثرة المطر فساخ ترابها.

الخوة – والخاوة عند العرب ما يأخذونه رسم مرور من الحجاج وغيرهم وكانت تؤخذ في بلادنا من المارة لتأمينهم في الطرق الصعبة التي يكثر فيها المعتدون عليهم مثل الطريق بين بيروت ودمشق في اعالي لبنان الغربي وفي وادي القرن والزبداني ونحوها فابطلها الامير بشير الشهابي الكبير المعروف بالمالطي. وبنيت خانات على تلك الطرق فسميت المخافر جمع مخفر والخفارة ما يؤخذ من المارة لتأمينهم.

الخواجا – تركيتها (خوجه) بمعنى معلم واستعملت ألقاباً لتجار الاقمشة ونحوها وشاعت عندنا قديماً.

الخيال – ما يوضع في الزرع لطرد الطيور وغيرها وهو النطّار. والمجدار ما ينصب مزجرة للطيور والسباع وغيرها.

[الدال]

داخ – اذا اغمي عليه وفصيحه سُدر. وهُدم اذا اخذه الهدام وهو الدوار يصيب الانسان في البحر – ودير به اذا اصابه الدوار او الغشيان من سكر او ركوب بحر ونحو ذلك.

داروخ ومدروخ – قضيب من الكرم يدفن في التراب ليكون جفنة جديدة فصيحه (المكبس).

الداغ – فارسية بمعني الكي وهو بمعني السمة والهيأة

داكيش – تركيتها (دَكش) بمعنى تبديل وتحويل ومبادلة. تبني العامة منه فعلًا فيقولون (داكشه على الدابة) أي بادله بها وتداكش هو واياه أي تبادلا وداكشه والاسم المداكشة.

الداما – لعلها كلمة مصرية لان المصريين القدماء لعبوا بها كما في الآثار القديمة في الاقصر وهي لوح ذو خطوط تنقل فيه فصوص يغلب الذي يربح اكثرها.

الداية – فارسيتها دايه بمعنى أمة ومربية الاولاد فاستعملوا للمعنى الاول المولدة والقابلة وللثاني الظئر.

الدبوس – فارسية للعصا التي في رأسها شبه كرة وعربيتها المقمعة.

دحدح – الولد وتدحدح اذا جرى متلوياً محرفة عن دعدع اذا ركض بتباطؤ.

دحدل – لعلها من دأل اذا مشى مشياً في ضعف.

دحش – الشيء ادخله بعنف تحريف دحس.

دخلت المرأة في شهرها – اذا حانت ولادتها فصيحها أشهرت أي دخلت في شهر ولادتها.

دربز – فهو مدربز اذا قصر وغلظ جسمه وفصيحها حدر حدراً وحدارة اذا سمن في غلظ.

الدربكة – آلة من خزف مستطيلة على دائرتها جلد يقرع عليه كالطبل فارسيتها (دنبره) منحوتة من (دنبه بره) أي اليه تحمل فعربوها بكلمة طنبوره وقال الشاميون (دربكة) وبعضهم درابكي. ولعلها الكوبة. والدردبي الذي يضرب بها والدرداب صوت الطبل.

الدرفيل – اسم الدلفين وهو الدُخَس.

الدرابزون والدرابزين – أعواد او قضبان حديدية متعارضة تقي من السقوط عن السلالم او السطوح ونحوها تركيتها (طرابزان) وعربيتها (الحافق).

الدرويش – فارسيته (دُربش). أي واقف على الباب بمعنى البواب والخفير ثم استعملت للمتقشف غير المتأنق.

الدريس – لعبة على نوعين بسيطة ومركبة فالبسيطة تنقل فيها الحصى بين تسع زوايا من خطوطها والمركبة نقلها بين ٢٤ زاوية. عرفها العرب باسم القرق والسدر.

الدشت – وريقات تعلق عليها الفوائد لجمعها وفصيحها الجزازة.

الدشمان – فارسية بمعنى العدو والخصم استعملها الاتراك ايضاً.

دغري – يقولون (اذهب دغري) أي اذهب مستقيماً وتركيتها (طوغري) بمعنى مستقيم ومستو وحقيقي.

دفتيريا – يونانيتها (دفتريت) أي الجلد الدبيغ وفي الطب مرض في الحلق فصيحه الخُناق.

الدكوجة – وعاء من فخار مستطيل عربيته الناجود.

دودة الظهر – أي النخاع الشوكي او الحبل الشوكي وهو العرق الابيض الذي يجري في فقير الظهر ويعرف عند الاطباء بالشليل.

عيسى اسكندر المعلوف

كبرياء

لو أتيحتْ ليَ القصور ، لحطمت قصوراً تحدّ من آفـاقي
أنا كالظل ، لا يعض به القيد ، وكالشمس ، دونهـا كل راقِ
أنا كالمـاء ، لا يقرّ ، فان قرّ ، فقد مات حسرة لانطلاقِ
أنا دنيا ، بل دنيواتٌ عراضٌ ، يتكشفن عن طبـاق طباقِ

•

شرود

تلفت الليل يدعوني ، فصحت به   لبيك . كأسكَ ، اني شارب كاسي
أنشر جناحيك ، واحملني الى أفقِ   بكر ، وراء حدود الارض والناس
ألقي الى الريح آلامي ، فيحملهـا   عني . وأغسل في الغدران من ياسي
كأنني حلمٌ وسنان ، منطلقٌ   ينسل في الورد ، او يلتف بالآس
ياليل ! هذي جراحات الهوى هتفت   فاضمد جراح الهوى ، ياليل او واس

•

طلائع

طوى الشتاء جناحيه ، وصاح به   آذار ، أخضر نضراً ، وجهه طلقُ
فالدفءُ ينساب في ردن الهواء رخيٌ   يندى له الجو ، أو يزهى به الافق
والارض ، حسناء قد جاء البشير لها :   نيسان في الدرب . فالافراح تستبق
مدّت له جيدها ، وازّينت طرباً   وشقت العطر ، حتى جسمها عبق
طار الحنين بها ، والشوق زلزهـا   وكاد يهتفُ في أعطافهـا القلق
نيسان ! وانفلتَ الريحان من يدها   ندیان يحلم ، فالتفت به الطرق

حمص   وصفي قرنفلي



قصة

كانا اثنين لا ثالث لهما، يكنكنان في غرفة يخيل اليك مما يخيم في جنباتها من هدوء، كأنما هي تنصت لما يدور بينهما من حديث. وكانت الليلة التي تطويهما في احشائها، ليلة ليلاء تغرق في سكون وادع عجيب، كأنها هي ايضاً تسترق سمع حديثهما في رغبة المتطلع الى الغيب، وخشوع الطامع في تلقي الوحي. وكأنما كان يؤذيها ان يقوم في الكون كله حركة ما، فتأبى ان تحف شجرة، او يميل غصن، او يسري نسيم، او يُسمع في النهر حركة مجداف. وكأنما انتهت اليها، لحظة واحدة، قدرة الله جل جلاله، فخلعت اردية الموت الباردة على الكون كله. — وهل الكون ليلتئذ غير بغداد وما يحيط ببغداد؟ —

على انه بقي في احشاء هذه الليلة حيّ واحد «غير الاثنين» يسمع ولا يُسمع. ويرى ولا يُرى، ذلك فتى علوي عاشق شهم من اهل الكاظمية، صاحب «بلم» صغير جانح من النهر الى الشاطئ الغربي: الكرخ، مقابل لكوة من كوى الغرفة ضيقة دانية من الشط. الغرفة التي كانت تنصت للحديث، وفي «وهمها» انها وحدها تسمع. وان احداً لا يراهما ولا يسمعهما. وكان ينتظر .... وقد طال به انتظاره فغادر «بلمه» يصدع الليل ويتعجس الامر، فإذا هو يواجه كوة «الغرفة» وجاءها واذا هو يسمع ويرى.

قال الفتى العلوي: كانا اثنين لا ثالث لهما وكنت اعرف الدار التي ينزويان في احدى غرفها. واعرف صاحبها. واعرف هذه الغرفة بعينها، وقد أغصني ما سمعت تلك الليلة، وندمت ان أنصت لاسمع، وانا بعد، اعجز من أن انفع في شيء. هذا الرجل النبيل المصلح، المجاهد الجليد، المتأبي المترفع، صاحب الايادي عليّ، وعلى نخبة صالحة، وفورة العدد من شبان بغداد. سمعت ضيف الدار — واظن انني عرفته — يقول:

— قلت ان الفتاة التي قصصت عليّ قصتها امس كانت طفلة ما تتجاوز الثانية عشرة من عمرها يوم شاءت السماء ان تنفتح عيناك عليها الاول مرة، في منزل صغير متواضع، تزور اهله برفقة والدتها — في ما تذكر — او احدى صواحبها. و... و...

وقطع صاحب الدار الكلام على صديقه، في كثير من التجاهل المتصنع، كما شعرت، وفي لهجة تحمل شيئاً من الهدوء المرجع، ولكنه شيء لم يكن في مقدوره ان يستر العنف المترجرج في تلك اللهجة النحاسية الحادة: اية فتاة هذه ؟!! واية قصة ؟!!

قالها بسرعة البرق وحدّة البرق.

وبقيت شفتا صديقه لحظة مفتوحتين او شبه مفتوحتين، كما تكون الشفتان حينما يخرج صاحبها «واو» هذا الحرف من بينهما. ولكنها لحظة وانقضت. وملك الصديق امره. واشاعها ابتسامة ناعمة شاحبة، طافت بفمه وعينيه. ثم اعتدل في مقعده وقال بلهجة رزينة، فيها عتب المحب المواسي، جريحة، فيها حدّة المؤنب المخلص: تسألني اية فتاة! واية قصة!! وبهذه اللهجة ؟!! ويحك أنسيت ؟ نسيت فتاة «لا» وقصة «لا» هذه! أما اسهرتني امس حتى مطلع الفجر، تقص عليّ القصة مجمجاً في هدوء الموت، بعد نوبة من الالم الجنوني كادت، لولاي، تفضي بك الى الموت؟ ماذا؟ اندمت ان فتحت لي صدرك. وبثثتني مكنون امرك. اترى في بالك ان فيّ موضعاً لشك يخامر نفسك؟ — ما ادري ماذا تريد ان تقول. فانا لم اقص عليك اية قصة. وما افهم من اين تجيئني بهذه الالغاز: فتاة «لا» وقصة «لا». اتكون قد حلمت الليلة الماضية حلماً ما؟ انه ليؤلمني جد الالم، ان يخطر لك انني اشك فيك. قد درجت — كما تعلم — على مكاشفتك بكل ما ظهر من امري وما بطن. وما خفي منه وما علن، ولكن شيئاً مما تقول لم يقع. او انني ما اذكر انه وقع.

— سبحان الله! ما الذي يغيرك عليّ!!

أما فاجأتك الليلة الماضية تذرع غرفتك هذه رائحاً جائياً، وانت تردد هذه الكلمات: ترى ما لاؤها هذه ؟! اهي لاء المرأة ام لاء الناس ؟! قل لي أما كنت امس عند منتصف الليل او بعده بقليل تردد هذه الكلمات والهياج النفساني يغمرك غمراً، فيصرفك في الحاح وعنف، منصرفاً تبدو فيه كأنك قد فقدت كل سيطرة على نفسك. وعلى اعصابك. وكأنما الالم قد تجسد وحشاً ضارياً يلح عليك، ويلاحقك من زاوية في الغرفة الى زاوية يمد براثنه الحادة الى دماغك، والى قلبك، فيعصرهما عصراً يكاد يذهب بهما، وانك لتتمنى ان يذهب بها فينقذك من ألوان من العذاب لا عهد لك بها. على كثرة ما ذقت من الوان العذاب. وانك تخشى اكثر

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ما تخشى ، ان يعجز هذا الالم عن القضاء عليك ، وتعجز انت عن حمله ، بما عرف عنك من صبر . ومن ترفع و كبر ، فتضعف ولا تتحطم ، وتهون ولا تموت ، وانت تفضل ان تتحطم ، ولا تضعف ، وان تموت ولا تهون !

انسيت انك بعد انقضاء ثورة الالم رويت لي مــن خبر الفتاة و « لائها » حتى سكنت نفسك . ثم قلت لي هذا كله في اكثر ما يمكن من الهدوء واللين ؟ فما بالك تتجاهــل و تنكر . وتغضب وتثور ! فان كنت تخشى امراً . . . فلا تخش ، انني اجهل اسم الفتاة ، وأحب ان اجهله الى الابد ، ان كان في هذا رضاك . ولولا انني لمحت من خلال قصتك ، بعد انصرافي عنك امس منبعثاً للامل في التخفيف من عذابك ، لما سألتك ، اريد ان استيقن من انها هي ، كانت في سنة . . . طفلة ما تتجاوز الثانية عشرة من عمرها ، لعل الذي خطر لي يكون هو الواقع ، فيسهل علي الاخذ بناصرك . والكشف عن وجه الرأي في ازالة كربتك ، مخافة ان يكون في تغير مجرى حياتك منصرف لك عن اداء رسالتك ، وانت ، انت است ملك نفسك . انت ملك قوم لهم مثل مالك حق معلوم في غدك ، وفي يومك ، وفي امسك . فان كانت الصدمة جعلتك من ضيق الصدر بحيث اصبحت تظن بي انا الظنون ، فها كها قولة ان انقضها ابداً ، إلاّ أن تشاء انت : انك لم تخبرني شيئاً . ولا رويت لي قصة ولا خبراً . وما سمعتُ منك ، عمري كله ، ولا من غيرك قصة فتاة « لا » ولا عجوز نعم ، ايرضيك هذا ؟! استودعك الله . لن تراني بعد الليلة الا ان تُرسل اليّ .

— الك الله . ما انبل نفسك ! واكبر قلبك ! وما اسعدني بك واشقاني في التحرز منك . لا . يستحيل ان تذهب . انك ستبقى . اجلس . اجلس . لن تذهب قبل ان تسمع قصتي مفصلة . وليس مجملة كما سمعتها امس .

بلى . لقد قصصت عليك في ساعة ذهول وضعف ، شيئاً من قصة فتاة « لا » كما تسميها ، اما الليلة فسأقصهــا عليك كاملة مفصلة ، في غير تردُد ولا جمجمة ولا احتراز . وستكون ، ماعدانا نحن ، انا وهي ، الوحيد في هذا العــالم ، الذي يعرف هذه القصة الوجيعة باسماء ابطالها . ولن يعرفها في الدنيــا احد سواك . اليس كذلك ؟

أو تريد الصحيح ! انك لولا ان تفاجئني بسوآلك عن الفتاة والطفلة و . . . ساعة دخولك عليّ ، لوجدتُ نفسي مسوقاً الى ان انفض لك خبيئة صدري . واحدثك بجميع امري ، فاني احس رغبة في التحدث « عنها » ملحةً عنيفة رغم ما يثير التحدث « عنها » من ألم ومن التياع في نفسي الحائرة الصبور .

ولكن الى من التحدث ! لا . لن اتحدث « عنها » الى بشر . انني اتحدث « عنها » الى ذات الله العاليه . نعم ، الى الله وحده عز وجل . والى نفسي ، الى نفسي كما كنت افعل حين فاجأتني الليلة الماضية . أفأنزلك من نفسي منزلة نفسي مني ، فاحدثك عنها لكي ترضى !

أهذا ما تريد ؟! طيب . سافعل .

اللهمّ عفوك . وعفوك انت ايضاً .

اسامع انت ؟ اسمع !

قال الفتى العلوي : واعترتني هزة خشيت معها ان لا اقوى على الاستمرار في مكاني من الكوة . ولكن رغبتي في ان اَطلع طِلعَ الرجل — وهو من هو — قوّتني فاستقررت . وانستني ما كنت في سابيله فنسيت . وقدرت على السمع فسمعت :

وكان هذا آخر ما سمعت :

« وما تزال هذه الـ « لا » نصلاً مثبتاً في قلبي وفي كبريائي . يصاحبني الالم منه سواد ليلي وبياض نهاري . فلا « هي » تنزعه — ونزعه أليم كوقعه — ولا انا انزل عن كبريائي فاحاول ترضيهــا رجاء ان تنزعه ، والجرح — كما تعلم — قد يتماثل ويتراجع الى البرء اذا انت نزعت منه النصل الذي احدثه ، مهما يكن من شأن الاثر الذي قد يخلفه في مكانه . ولكنه لن يتماثل ولن يبرأ مــادام النصل قائماً في موضعه منه ، موغلاً في مستقره وجنباته . ذلك ان كل حركة او اشارة او نظرة او كلمة او لمعة فكر ، كأنما هي يد تمتد اليه فتهزه هزاً يفجر الدم من موقعه . ويذكر الطعين المتكبر — وهل هو ينسى — بشقوته وجرح كبريائه ، فيفور دمه . ويشمخ بانفه على الالم بنوعيه ، فلا يُرسل آنةً ولا يسكب دمعة ولا يطلب رحمة . فيثأر الالم لنفسه ، بأن يُمعن فيه بعنفه ويسترسل في النكاية به . وهكذا . . . » ثم لم اسمع بعدها شيئاً . ولكنني رايت الرجل يستند الى ركبتيه بمرفقيه ويأخذ بين يديه رأسه ، ثم يصمت صمت ليلته . . .

ورأيت صديقه ينهض متثاقلاً ، فيضع يديه وراء ظهره ، ويدنو من الكوّة في خطوات متزنة بطيئة . ثم سمعته وفي صوته شيء من التهدج يقول : ليست هي . كنت ظننت انه بدّل اسمها اسماً آخر ، لكي يجهل الناس اهلها ويجهلوها هي ايضاً الى الابد . ولكن لا . انا موقن انه صادق . له الله ما اشقاه . وما اعمق ألمه وادهاه .

وتابع الفتى العلوي كلامه قال :

واشجتني قصة الرجل شجوا عميقاً ، وكنت قد اقتنعت بان صديقه غير ناشرها ولا مدونها . وانه مختزنها لنفسه بعد الذي أخذ عليه من عهد . وقام في ذهني انها ضنة على الضياع بين اثنين او ثلاثة من الناس بينا هي قد تؤلف ، اذا ما كتبت بقلم بليغ ، صفحة رائعة من صفحات الحياة ، وصورة دقيقة بارزة من صور هذا القدر الغامض الذي يعطي ويمنع . ويحظر ويبيح . ويُشقي ويسعد من غير ما قاعدة محدّدة . ولا سُنة واضحة معينة . ولا حساب ، . وغدوتُ من امري في حيرة ما ادري الذي انا فاعله . الى ان هداني الله ، فذكرت عنايتك بما يشبه هذه من قصص الحياة ومآسيها الواقعة المكتومة . . . واجبتُ — لعلي افي بشيء مما لك علي من اياد — ان تخرجها انت الى الناس واحسب انك فاعل ان شاء الله .

— بلى . بلى وابيك . ورأسك ابا الحسن انني لفاعل . يا ابا الحسن « خوش قصة » والله انها مؤلمة رائعة . ولكن ما الذي يمنعك انت من صياغتها ونشرها وانت . . .

— لا . لا . احب ان اكون شاهداً لك وعليك . ثم انا اعلم انك تفرغ لمثل هذا اكثر مني .

وها انذا أفي « لابي الحسن » بوعدي ، وأخرج الى الناس القصة التي كانت السبب في ان ذهب ما كان في سبيله ، ليلته تلك . وليس ما كان في سبيله بهين ولا بقليل . واصرح بان ابطال القصة ما يزالون ملء السمع ملء البصر في بغداد . وعلى الضفتين من دجلة ، النهر النمر . بيدَ انهم ينتمون الى عشيرتين تنزلان منازل يفصلها عن عاصمة الهواشم صحارى وواحات . وسهول وفلوات .

واصرح بانني تصرفت في كتابة القصة على هواي في التعبير والاسلوب . ولكن من غير ما زيادة في الحوادث ولا نقصان . ومن غير ان يكون لي فيها سوى هذا التصرف الذي ارجو ان يغتفره لي « ابو الحسن » رضي الله عنه وارضاه .

وساقتصر من الاعلام على الاسماء الاولى ، ما اذكر اسم الاب ولا اسم الاسرة . واؤكد ان صاحب القصة ، صاحب الدار القائمة في الكرخ ، ان صديقه وفى بعهده وما خان . وان ابا الحسن صديقه هو الآخر ، الذي سمع ورأى دون ان يُسمع ولا يُرى كان كذلك وفياً رفيع الذوق ، فهو الذي اشترط علي ان لا ابوح بالاسماء كاملة : فرضيت . وستلمس ايها القارىء الكريم هذا الرضى وتقرأ القصة في جزء مقبل ان شاء الله .

بغداد « مجهول »

تطلب الاديب

✻

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
صيدا	»	السيد يوسف الجيز
النبطية	»	مكتبة الشباب لصاحبها السيد معين جابر
صور	»	السيد محمد سعيد البلاغي
طرابلس	»	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	»	السيد فؤاد الحاج
حلبا	»	السيد عبدالله محفوض
زحله	»	السيد جوزيف فرحات مطران
بعلبك	»	السيد علي الاحمر
دمشق	»	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	»	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	»	السيد عبد السلام السباعي
	»	السيد توفيق الشامي
اللاذقية	»	السيد حنا نصره
	»	عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد منزلجي
طرطوس	»	الاستاذ صالح علي
حلب	»	السيد جان رزق الله كردي
الباب	»	الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
دير الزور	»	السيد صالح السيد
العراق	»	المكتبة العصرية لصاحبها السيد محمود حلمي ومن عموم المكاتب والباعة
فلسطين	»	شركة فرج الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
مصر	»	مكتبة النهضة المصرية وعموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بليرة لبنانية ، في العراق بـ ١٠٠ فلس ، في فلسطين بـ ١٠٠ مل ، وفي مصر والسودان بـ ١٠٠ مليم .

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com



حسن كامل الصباح في اميركا

بمناسبة الذكرى التاسعة لوفاة فقيد العلم :

حسن كامل الصبـــاح

بقلم محمد قره علي

ولد حسن كامل الصباح في النبطية – جبل عامل – من ارومة ترجع بنسبها الى الشيخ الصباح امير الكويت ومن سلالة يعقوب بن الصاح الفيلسوف الرياضي الشهير الذي عاش في اوائل الدولة العباسية .

والمعروف عن حسن كامل انه كان مولعاً منذ حداثته بالحساب والشعر وعلم الفلك اذ درس الجبر والهندسة بدون معاونة استاذ وهو لما يبلغ الرابعة عشرة من سنه ومنذ ذلك الحين تجلت فيه امارات النبوغ . وفي اواخر السنة الاولى من دخوله الى المدرسة السلطانية في بيروت اخذ يعين طلاب السنة الخامسة في حل مسائل جبرية شديدة التعقيد ، وفي خلال ثمـانية اشهر اتقن اللغة الفرنسية ، ثم انتقل الى الجامعة الاميركية فألمّ باللغة الانجليزية في خلال ستة اشهر المامًا بارعاً اثار اعجاب اساتذته ورفقائه ، وقال احد رفاقه في الجامعة انه كان وهو في الصفوف الاولى يشترك مع اساتذة الصفوف العليا في حل المسائل الرياضية . ثم دخل قسم الهندسة ولم يتم السنة الاولى اذ دعي في سنة ١٩١٦ الى الجندية ونقل الى الاستانة وهناك تيسر له دخول قسم التلغراف اللاسلكي ودرس اللغة الالمانية واستحضر كتباً رياضية في تلك اللغة ثم عين قائداً لمفرزة التلغراف اللاسلكي في غاليبولي وبقي فيها حتى انتهاء الحرب اذ قبع راجعاً الى دمشق حيث عين فيها معلماً للرياضيات في المدرسة السلطانية وفي هذه الحقبة من الوقت توصل في درسه الخاص الى فلسفة التحليل الرياضي وفي سنة ١٩٢١ رجع الى بيروت حيث عين مدرساً للرياضيات في الجامعة الاميركية وكأن الجامعة وما فيها لم تشبع نهمه فغادرها مهاجراً الى الولايات المتحدة للالتحاق بمؤسسة ماساتشوستس الفنية وتعد هذه المدرسة اعظم مدرسة في العالم ولما قدم امتحانه المدرسي اعفته للحال من جميع الدروس الرياضية في برنامجهـا كما اعفته من دروس الطبيعيات .

ولم يمكث طويلا في هذه المدرسة حتى غادرها الى جامعة الينويس ولم يبلغ نهاية العام في هذه الجامعة حتى قدم استاذ الفلسفة الطبيعية فيها اقتراحاً للعمدة بمنح الاستاذ كامل شهادة استاذ علوم « M. A » غير ان العمدة لم توافق على هذا الاقتراح بحجة ان التلميذ يجب ان يقضي سنتين على الاقل في الجامعة وهنا كانت نفسه قد ارتاحت الى ترك الحياة الدراسية ودخل حياة العمل فعين في شركة الكهرباء العامة Général Electric Co. في سكنكتدى بنيويورك وتعد هذه الشركة من اعظم شركات العالم . ولما بدأ يخترع الاختراعات المدهشة عينت له مختبراً خاصاً ومكتباً خاصاً ووضعت تحت تصرفه مهندسين يعملون بارادته وبعد ان وضع هندسة جديدة للكهرباء اخـذت تنهال عليه شهادات رؤساء الجامعات واكابر علماء الغرب كرئيس المؤسسة الكهربائية في بوسطن « ماساتشوستس » المعروفة باسم « ام . آي . تي » والاستاذ « كاستلوفرانش » استاذ الكهرباء في جامعـة ميلان في ايطاليا والاستاذ « موريس لوبلان » العالم الفرنسي الشهير ورئيس الجامعة الاميركية في بيروت ثم ارسلت اليه الشركات الكبرى شهاداتها واعترافاتها بصحة اختراعاته ومن تلك الشركات « وستنكهاوس » الكهربائية في شيكاغو وثلاث شركات كهربائية المانية .

وبعث اليه المستر « هوفر » رئيس الولايات المتحدة السابق بكتاب يظهر له فيه اعجابه بنبوغه وبنبوغ العالم العربي .

وفي سنة ٩٣٢ منحه مجمع مؤسسة الكهرباء الاميركاني في نيويورك لقب فتي العلم الكهربائي وهذا اللقب لا يمنح الا لمن اخترع

وابتكر ودرس في فن الكهرباء مدة عشرة سنوات .

وبعد ان تعددت شهادات علماء الغرب في افضلية مبادىء العالم العربي ابن الصباح اضطر اولياء الشأن في شركة الكهرباء العامة في سكنكتدي بنيويورك لدعوة كل المهندسين الذين يعارضونه الى اجتماع كبير عقد في مكتب الشركة وذلك سنة ٩٣٢ هناك دارت دائرة الجدل بين كامل الصباح الغريب الذي لا نصير له الا الحق والمنطق وبين رفاقه الخصوم وبعد جهد في الاقناع افحمهم بنظرياته وتجاربه العلمية حتى اذا انتهت الجلسة وقف رئيسها العالم « البرت هل » وقال « لقد تبين الان ان نظريات ابن الصباح لا وهن بها وهي متينة من الوجهة العلمية المقنعة » في النهاية خرج المهندسون مطأطأي الرؤوس واضطروا لتطبيق نظرياته في جميع معاملهم ومؤسساتهم

ولقد كان فوق تعمقه في العلوم الرياضية والطبيعية وخاصة فرع الكهرباء منها . يتقن خمس لغـات : العربية والانجليزية والتركية والافرنسية والالمانية وكان الى جانب ذلك كاتباً في العلم والادب والاجتماع وكثيراً ما توج الصحف الانجليزية والعربية بمقـالات علمية رائعة ، ثم ان له رسائل واكثرهـا الى والده والى خاله العلامة الشيخ احمد رضا وكثير منها الى اصدقائه الذين كانوا يطارحونه اسئلة متشعبة في الادب والحياة .

ولا بد من الاشارة الى ان الشركة التي كان يعمل فيها قد انتدبته ليمثلها في المؤتمر العالمي للكهرباء الذي اقيم في باريس عام ٩٣٢ فلم يستطع الشخوص وكتب تقريراً ضافياً باللغة الفرنسية تلي في المؤتمر فلاقى استحساناً عاماً .

ولقد بلغ ما سجله من اختراعات حتى عام ٩٣٢ حسب البيان الذي نشرته الشركة في ذلك العام ثلاثة واربعين اختراعاً ، وقالت صحف المهجر بعد وفاته ان اختراعاته بلغت السبعين .

منها اختراع في التلفزة يحول اشعـة الشمس الى نار وقوة كهربائية واختراع آخر هو استعمال شعاع الكهرباء لاذاعة صور الاشخاص والاشباح على جناح الاثير .

ولقد كان غاية ما يطمع اليه الفقيد العظيم هو ذلك الاختراع الذي يسخر اشعة الشمس المحرقة الى انارة المدن والقرى في بلاد العرب وهو من اجل هذا الاختراع ابتاع الطائرة التي كانت من اسباب وفاته لانه كان يأمل ان يحلق بها فوق البلاد العربية اجمع ويستقر الى حين في هذه البلاد حيث يجري تجاربه ، وقد كانت مفاوضات تجري بينه وبين عاهل العرب المغفور له فيصل لانشاء مصانع لتوليد القوة الكهربائية وتوزيعها على كل الاقطار العربية لولا ان فاجأه القدر بوفاة العاهل الكبير واليك نص المقال الذي كتبه بقلمه عن هذا المشروع العظيم :

تمكنت من استنباط بطارية كهربائية ثانوية ، يتولد بها «حمل» كهربائي بمجرد عرضها لاشعة الشمس . ولبيان ماهية هذه البطارية اقول : لنفرض اننا وضعنا عددا منها يغطي مساحة ميل مربع في وسط الصحراء العربية ، حيث لا غيوم ، فالقوة التي يمكن استصدارها من الشمس عندئذ تكون مئتي مليون كيلووت « فولت » او مئة واربعين مليون حصان غير ان البطارية يمكنها ان تستخدم جزءاً من عشرة الاف جزء من هذه القوة فيكون ما تستحصله من الشمس بواسطة هذه البطاريات قوة كهربائية لا تقل عن مئة الف كيلووط « فولت » اي قوة تزيد خمسين مرة من اعظم قوة يمكن استحصالها من مولدات نهر « الصفا » بلبنان التي اتموها حديثاً .

حسن الصباح استاذ الرياضيات في دمشق

ان القوة الكهربائية التي تولد من نهر « الصفا » هي جزء حقير من القوة النور الواقعة على الارض من اشعة الشمس . هذا الجزء الحقير يبخر الما فيصبح غيوما ثم سحـابا ثم سواقي وانهرا ثم شلالات . وعليه فان استخدام اشعة الشمس وتحويلها رأساً الى قوة كهربائية بدون استخدام ماكنات بخارية هيدرولية « مائية » ومولدات كهربائية متحركة هي الطريقة الطبيعية الرابطة لاستخدام اشعة الشمس اذا حملنا البطاريات بالحمولات الكهربائية من اشعة الشمس للصحرا العربية ، نكون كأننا عثرنا على آبار بترول لان الذي يجمل البترو ثميناً هو مقدار القوة التي يكمنها بين دقائقه .

ولنفرض اننا اسسنا مزرعة بطاريات شمسية كهربائية في اواسط الصحراء العربية بين دمشق وبين بغداد ثم صنعنا سيارات

ARCHIVE http://Archivebeta.Sakhrit.com

كهربائية تسير تلك البطاريات عوضا عن البنزين فيقف سائق السيارة عند كل مزرعة بطاريات ويستبدل البطاريات التي استعمل حملها الكهربائي في تسيير سيارته ببطاريات قد ملأها اشعة الشمس بحمل كهربائي كامل من تلك المزرعة الشمسية .

بهذه الوسائل ومثلها يمكن تحويل الصحراء العربية الى مدن عامرة آهلة بالسكان فيعود اليها مجدها السابق .

وقد قرأت مؤخراً ان فيلبي قام برحلة الى قلب الربع الخالي ووجد على ضفافه بقايا مدنية مندرسة كانت مسقط رأس الشاعر العربي المعروف بالفرزدق .

ولقد وجد في قلب الربع الخالي مكانا لم ينهل به الاديم منذ عشرين عاماً فلو حولنا تلك الاشعة الشمسية المحرقة الى قوة كهربائية واستخدمناها لتسهيل المواصلات وحفر الآبار الارتوازية والمبردات الكهربائية والمراوح لاصبحت الصحراء معمورة كلها عمران تحسد عليه ، فالناس والمدنية تحوم حول مصادر القوة وهذا مصدر من مصادرها عظيم ، قد توصلت الى هذا الاكتشاف بادوات اشتريتها من مالي الخاص واشتغلت في بيتي الخاص وبوقتي الخاص ومع ذلك فان شركة الكهرباء العامة لم تسمح لي باخذ امتياز باسمي وهي ستستثمر هذا الاختراع فلو كنت مشتغلاً لحكومة من الحكومات العربية مثلا لرجع هذا الربح اليها وهو كما ذكرت سالفا عائل آبار كثيرة للبترول والبنزين اي انه يحوي ثروة طائلة كاملة .»

والان قبل ان انهي حديثي يجدر ان الم الماماً سريعة ، اعرض فيها الى وفاة كامل ، بعد ظهر الاحد الواقع في ٣١ آذار سنة ٩٣٥ ذهب كامل الصباح واصدقاؤه الاميركان الى مدينة « مالون » حيث تفقد طائرة اشتراها ليقوم بها برحلته الى البلاد العربية وفي عودته الى « سكنكتدي » كانت سيارة اصدقائه تسير في المقدمة ففقدوا اثره قرب مدينة « البرابيشون » وعادوا ادراجهم فوجدوا سيارته خارجة عن الطريق الى منحدر يبلغ علوه خمسة عشر قدما ووجدوه ميتا فيها » وما ان اذيع النبأ المشؤم على العالم حتى عطلت مصانع الدنيا من اقصاها الى اقصاها من دقيقة الى خمس دقائق .

وبعد ان نقل جثمان الفقيد الى الوطن بعث والد الفقيد الى رئيس الشركة الكهربائية في « سكنكتدي » يطلب منه صورة مفصلة عن متروكات ولده واثاره فاجابه برسائل كان يختلف بعضها عن الآخر وهذه شذرات من آخر رسالة من الشركة وفيها اسماء الاختراعات للفقيد وتاريخ تسجيلها :

واذكر انك طلبت ان يطلعك المدير على ما يتعلق بتصفية متروكات ابنك . واخبرك انني تلقيت بياناً مفصلا من المدير بعث اليّ معه بالوصولات حتى تاريخ البيان وبلائحة من اهمها الديون التي لاتزال غير مدفوعة والتي وقعت تحت نظره وتجد طيه نسخة من هذا البيان المبدئي الذي بعثه المدير وتلاحظ ان ما لابنك حتى ٣١ آب سنة ٩٣٥ يبلغ ١٧٧ دولار و٥٤ سنتاً مقابل ديون مهمة يبلغ مجموعها ٣٣٩ دولارا و٣٠ سنتاً وان طلب جدمون البالغ ٣١٤ دولار و٢٥ سنتاً هو لقاء السيارة التي كان يركب فيها كامل والتي تلفت تماما في الحادث . وتذكر انني في كتابي الاول الذي وصفت فيه الحادث شرحت لك ان مستر فوجل كان يركب سيارة كامل بينما كان كامل يركب سيارة المستر فوجل ونحن لا نستطيع في الوقت الحاضر ان نقول ان طلب المستر فوجل سيصدق . وتلاحظ ايضاً من بيان المستر دودج ان مرتبات الادارة ومرتبات الادعاء العام لم تعين بعد .

وهناك مال باق لابنك لا يظهر ذكره في البيان وهو المبلغ الناتج من معاش التقاعد الاضافي وقد اشرت الى ذلك في كتابي السابق . والمبلغ يناهز ٢٩٠ دولار ولكنه محجوز لقاء معاملة قام بها كامل قبل الحادث . ومعلوم انك انت صاحب الحق في المبلغ ولكن اذا انتهت النتيجة بترتب دين على كامل من المعاملة التي قام بها قبل الحادث فيرجح استعمال المبلغ في دفع المترتب . واني بناء على طلبك ، ارسل اليك جدولا بالاختراعات المسجلة باسم ابنك وآمل ان يكون في هذا الجدول لذة خاصة لك وللوطن الذي نشأ فيه .

وارجو ان تلاحظ ان من الممكن ان تسجل باسمه اختراعات اخرى كان قد قدم طلباً بتسجيلها قبل وفاته . بيد ان الجدول المرسل تام حتى هذا التاريخ . ولا حق لابنك في مكافآت لان الاختراعات داخلة في منصبه الذي كان يدفع له مرتب مقابله . وكل الاختراعات التي انجزهـا اصبحت من ملك شركة الجنرال الكتريك بموجب الاتفاقية الموقعة من حين استخدامه وتجد طي الكتاب صورة فوتوغرافية عن نسخة هذه الاتفاقية الاصلية .

اما فيما يتعلق بمركزه في الشركة فقد كان صنفه صنف مهندس كهربائي وقضى بضع سنيه الاولى في المختبر الهندسي العام . ثم نقل الى « فرع تنظيم القوى » حيث كان جل جهده مصروفاً الى الآلات المحولة للطاقة والى دراسة المطافات الكهربائية .

اما بشأن سؤالك عن معاش تقاعد لك فقد اجبتك في كتابي اليك المؤرخ في ٤ حزيران واعتقد انه لم يكن قد وصلك حين

ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

ارسلت الي كتابك هذا الذي احرر جرابه الان .

ويؤكد لي المستر دودج انه سيقدم تقريراً عاماً حال الانتهاء من تصفية التركة ويعد بانه سيقدم لشخصك اشياء لها قيمتها العاطفية اكثر من قيمتها المالية منها لباس عربي وشهادة عضوية في الجمعية الاميركية للمهندسين الكهربائيين .

لك باخلاص

ص . ج . مارس

الفرع الشخصي قسم الخدمة والتوظيف

تسجيل امتيازات باختراعات الصباح

١٩٢٨ — نقل الصور والمناظر
١٩٣٣ — آلة اخراج المسافات
١٩٣٠ — آلة البخار الكهربائي
١٩٣٠ — نقل الصور والمناظر
١٩٢٩ — « « «
١٩٣٠ — آلة مقياس الضغط
١٩٢٧ — آلة تدقيق الضغط
١٩٢٨ — آلة قوس البخار الكهربائي
١٩٢٨ — طريقة التصحيح
١٩٣٥ — طريقة لتدقيق الحرارة
١٩٣٢ — طريقة اخراج الكهرباء
١٩٣٠ — آلة تحويل القوة
١٩٣١ — « « «
١٩٣١ — « « «
١٩٣٣ — « « «
١٩٣٢ — دورة التحويل الكهربائي
١٩٣٤ — « « «
١٩٣٣ — آلة الصمام الكهربائي المحول
١٩٣٢ — آلة تحويل القوة الكهربائية
١٩٣٥ — « « « «
١٩٣٣ — آلة الصمام الكهربائي المحول
١٩٣٣ — آلة تحويل القوة الكهربائية
١٩٣١ — « « « «
١٩٣٤ — آلة الصمام الكهربائي المحول
١٩٣٤ — « « « «
١٩٣٤ — « « « «
١٩٣٥ — مصحح الطريقة المركبة
١٩٣٣ — طريقة منع عدم توازن مصحح الطريقة المركبة
١٩٣٤ — طريقة تحويل الصمام الكهربائي وآلة التهييج

كامل صباح وهربرت برون

١٩٢٩ — طريقة التوزيع
١٩٣٢ — طريقة توزيع المساحات
١٩٢٩ — الطرق الاصلاحية
١٩٣٣ — المجرى الثابت المعبر عن الدوائر

كامل صباح وس . هرسكيند

١٩٣٢ — طريقة الاخراج الكهربائي

كامل صباح و . ا . متياج

١٩٣٤ — طريقة الصمام الكهربائي المحول

كامل صباح ومرفن موراك

١٩٣٣ — طريقة الصمام الكهربائي المحول
١٩٣٤ — « « « « وآلة التهييج

كامل صباح ولويس روبنسون

١٩٢٨ — طريقة البخار الكهربائي

كامل صباح وشانسي هويتني

قياس مصلح الفولتاج الكهربائي

وكانت الاختراعات التالية قد وصلت قبل وفاة الراحل العظيم من دائرة السجلات في واشنطن باسم ابن الصباح

طريقة بضبط القوة الصادرة من المقوم الكهربائي

حوافظ وضوابط لحماية المقومات الكهربائية من الخطر

طريقة لمنع حدوث هزات عالية في القوة الكهربائية في المقومات الزئبقية

ملتقط حديث لمنع حدوث انفجار كهربائي منعكس محول للعزائم الكهربائية العظيمة

جهاز للتلفزة يحول اشعة الشمس لنار وقوة كهربائية هائلة

جهاز للتلفزة يستخدم الكهارب المنعكسة بفعل النور

جهاز للتلفزة يستخدم النور كضابط للتيار الكهربائي

ومما ذكره مدير الشركة اليكتريك في رسالته الى والد الفقيد النبذة التالية : « لقد برهن الاستاذ كامل الصباح اثناء خدمته لشركتنا على انه من اعظم المفكرين الرياضيين في البلاد الاميركية وان وفاته تعد خسارة كبيرة لعالم الاختراع »

وقد اعترف جهابذة علماء الفن الكهربائي الذين كانوا يلقبونه بأديسون الصغير بأ[نه] من اعظم المخترعين .

رحم الله حسن كامل الصباح فقد كان للامة العربية ثروة لا تنضب ومنجم نور لا يشح . هذه كلمة عجلى وسأعود للموضوع في وقت قريب .

محمد قره علي

ARCHIVE
http://archivebeta.Sakhrit.com



الحبيـــب

لانور العطار

دمشق

١

يا حبيبيَ دع المشوق المعنّى

شـارداً في خيـاله يتمنى

فهو لولاكَ بالهوى مـا تغنىّ

٢

انتَ انغامه ورَجعُ صـداه

انت تذكاره وطيف صبـاه

انت احـلامه وانت رؤاه



ARCHIVE
http://Archivebeta.Sakhrit.com

٣

انتَ عذبتني واوجعت قلبي

انت اسرفت في عذابي و كربي

يا حبيبي لأنت دائي وطبي

٤

انت ان شئت فاض بالشعر لحني

وانطوت لوعتي واورق غصني

واحتواني الهوى وعشت اغني

٥

يا فداك اللحنُ الرقيق الحبيبُ

والنجاوى والمدمع المسكوبُ

والامـانيَ والهوى المشبوبُ

٦

يا فداك القلب الذي هام دهرا

ينظم الليلَ والكوكبَ شعرا

ويغني فيرقص الكون سكرا